كراسات

# النجمة الحمراء

العدد 10

# جيانغ جينغ

## مسار امرأة صينية ثائرة

إعداد جميلة صابر

يصدرها موقع 8 مارس الثورية

http://8mars-revo.hautetfort.com

# جيانغ جينغ

# مسار امرأة صينية ثائرة

**تقديم :**

خلال إنجاز هذا النص، الذي يتناول مسار جيانغ كينغ، الشيوعية الثورية البروليتارية، اعترض سبيل الكتابة شح في المعلومات و المادة الخام الضرورية لتتبع هذا المسار، لكن كما يقال، إذا ظهر السبب بطل العجب، فقد تم التيقن من الأسباب و الدوافع التي توجد وراء هذا الإهمال المتعمد، المتعلق بحياة هذه المرأة الصينية الثورية. فقد ضرب الحكام الجدد للصين بعد وفاة ماو تسي تونغ حصارا ممنهجا، هدفه محو جيانغ من الذاكرة، و ممارسة سياسة الإلغاء للشخص و كل إنجازاته لصالح الجماهير و البروليتاريا الصينية، و قد تلاقت هذه الخطة الممنهجة مع المعادين من الامبرياليين للصين و ثورتها الاشتراكية، لذلك فقد تم استغلال بطريقة عكسية حتى المراجع المعادية و الاعتماد عليها لاستخراج ما يفيد موضوعنا هذا حول جيانغ.

من جهة أخرى، فإن الثورة الصينية بقيادة الحزب الشيوعي الصيني، و زعيمها الثوري ماو تسي تونغ، تتعرض لهجمات مكثفة، تعمل على التشويه و قلب الحقائق و نشر المغالطات و خلط الأوراق، من أجل حرمان الثورة الصينية من مضمونها التحرري الديموقراطي الثوري و الاشتراكي، و نعتها بالثورة البورجوازية، و في هذا يلتقي أعداء الثورة الصينية و خصومها، و من لا يفقهون شيئا مما يقولون، الجاهلون بتاريخها العظيم.

إن استهداف جيانغ كينغ من طرف التحريفيين و الرجعيين و الامبرياليين، هو نتيجة سببين:

أولهما، كونها امرأة حملت لواء الثورة ضد القيم الرجعية الباتريركية، و ضد التقاليد الإقطاعية البالية، التي تضطهد المرأة الصينية، سواء داخل المجتمع، أو لدى بعض القيادات داخل الحزب، التي لم تتخلص من تلك القيم الكونفوشيوسية الإقطاعية.

ثانيهما، كونها رفعت لواء النضال من أجل الثورة الاشتراكية، و التي ذهبت فيها إلى أبعد مدى، من خلال قيادتها للثورة الثقافية البروليتارية في الصين، التي جسدت ثورة داخل الثورة، من أجل استمرار الثورة الاشتراكية تحت قيادة البروليتاريا و الجماهير الثائرة، و من أجل اقتلاع جذور و حصون التحريفية داخل الدولة و داخل الحزب الشيوعي الصيني.

تجسد جيانغ كينغ نموذج المرأة الثورية الشيوعية البروليتارية، المناضلة بلا هوادة من أجل أن تسود القيم الاشتراكية و البروليتارية، في مجالات حقوق المرأة و الاقتصاد و الفنون و الآدب و الثقافة بشكل عام، مطبقة في ذلك خط الجماهير بمعناه الشامل، الذي يجعل من الفكر و الفلسفة و الأدب و الفن في خدمة الجماهير، بل تجعلها في متناول الجماهير بعد إسقاطها من أبراجها العالية.

إن الثوريين الماركسيين – اللينينيين المقبلين على دورة جديدة من أجل بناء أحزاب ماركسية – لينينية حقيقية، عليهم أن يستحضروا هذا النموذج الشامخ من النساء الثوريات، اللواتي و قفن حتى النهاية منتصبات القامة مرفوعات الهامة أمام العدو مهما كان شكله و طبيعته و فكره و موقعه، و يكفينا هنا ذكر كلمتها الشهيرة أمام محكمة جلاديها

**" لنا الحق في الثورة! فليسقط التحريفيون من أمثال دينغ كسياو بينغ! أنا مستعدة للموت!"**

لكي نقف على أية ثورية هذه الثورية، أية بروليتارية هذه البروليتارية، أية شيوعية هذه الشيوعية، و باختصار أية امرأة هذه المرأة.

**"ساعدوا جيانغ على التلويح بالعلم الأحمر" ماو تسي تونغ**

**جيانغ كينغ : مسار امرأة صينية ثائرة**

في شهر ماي، في يوم 14 من سنة 1991 يغيب الموت – القتل إحدى قائدات الثورة الصينية العظيمة جيان كينغ، وبهذه المناسبة يخلد موقع "8 مارس الثورية" هذه الذكرى في إطار الوقوف على الدور الذي لعبته النساء في سيرورة الثورة الصينية العظيمة، وأيضا بمناسبة الذكرى الثامنة والستين للثورة الصينية العظيمة، وهذه الكراسة - في حلقات – هي استعراض للمسار النضالي والحياتي لجيانغ كينغ.

**تقديم:**

في 14 من شهر ماي لسنة 1991 يغيب الموت – القتل إحدى قائدات الثورة الصينية العظيمة، عندما أن امتدت أيادي التحريفيين إلى هذه المرأة الشيوعية العتيدة، بعد أن تمكنوا من السلطة إثر وفاة ماو تسي تونغ زعيم الثورة الصينية.

لقد كان موت ماو تسي تونغ في التاسع من شتنبر، بمثابة العد العكسي لما سيقوم به التحريفيون ضد الثورة – ضد الشعب – ضد العمال والفلاحين – ضد النساء – ضد كل ما جاءت الثورة من أجل تخليصه من آلاف السنين ومئات القرون من الاضطهاد والاستعباد والقهر. وطبعا سيبدأ التحريفيون بما يجب البداية به، من تشويه لصورة جيانغ كينغ ورفاقها، وهكذا أطلق التحريفيون عليهم نعت "عصابة الأربعة" (جيانغ كينغ 1917 – 1991 ، زانغ تشان كياو 1917 – 2005، عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للحزب، ياو وان يو وان 1931- 2005 ، عضو اللجنة المركزية للحزب، وانغ هونغ وين

1935 – 1992 نائب رئيس الحزب) لتأليب الشعب الصيني ضد تراث ماو، ضد من لاحق التحريفيين وراقبهم وشهر بهم من أجل انتزاع السلطة السياسية منهم، هذه الدعاية التي تلقفتها البورجوازية العالمية لتستعملها ضد الثورة الصينية عامة والثورة الثقافية البروليتارية الصينية خاصة، لقد كانت هذه الدعاية آلة جهنمية لسحق قادة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى معنويا قبل أن يكون هذا السحق سياسيا، وكما هي عادة التحريفيين دائما، التشويه ثم التشويه والكذب ثم الكذب حتى يصدق كل غير مصدق، فكل أفعال التحريفيين وسلوكاتهم وخياناتهم للعمال والفلاحين أسقطوها على كاهل جيانغ كينغ، وأصبحت ورفاقها العدو الحقيقي لماو، فخونة الثورة اعتبروا الإخلاص لخط ماو والخط الثوري "ثورة مضادة".

بين الخط الثوري الذي يمثله ماو، والخط التحريفي، أخلصت وسارت جيانغ كينغ على الطريق الأول وأدى الطريق الثاني بأصحابه إلى الوصول إلى السلطة، وللوصول إلى هذه السلطة كان لابد من التشويش على الخط الثوري للوصول إلى إعدامه، وبما أن جيانغ كينغ (ورفاقها) قد قضت مضجع التحريفيين، وبما أنها شكلت عقبة كأداء أمام تحقيق هذا المطمح، فقد كان لابد من إخراس صوتها إلى الأبد.

**"إن النساء نصف السماء وعليهن انتزاع النصف الآخر"** هكذا تكلم ماو تسي تونغ،

وهو الشعار الذي التقطته جيانغ كينغ فحرصت على أن يلازمها طوال مسارها النضالي والحياتي، لذلك لحقها كل ذلك العداء من طرف التحريفيين.

إن العداء لجيانغ كينغ لم يكن وليد مرحلة الثورة الثقافية الصينية البروليتارية الكبرى، التي كانت جيانغ كينغ رائدتها، بل إن العداء لها له تاريخ يعود لما قبل ذلك، أي منذ انخراطها في الحزب الشيوعي الصيني، فقد أرعبتهم، وهم الذين ينحدرون من مجتمع فلاحي محافظ تجاه النساء، امرأة متحررة خلعت عذارها، وأساسا منذ ارتباطها بماو، ألم يتدخل قادة الحزب في زواجها بماو ووضعوا شروطهم بعدم قيامها بأي دور سياسي علني.

فكيف انتقلت جيانغ كينغ من امرأة تهتم بالفن، والذي كان شغفها الأول ووسيلتها في التعبير، إلى ثورية تنخرط في الحزب الشيوعي وترتبط به وتناضل فيه إلى آخر رمق في حياتها؟ كيف ارتبطت بالجماهير التي أحبتها وبادلتها حبا بحب، كيف نصبت المحاكم للتحريفيين قبل أن ينصبوها لها، كيف ترافعت أمام محاكم التحريفيين وأفحمتهم، و أدانتهم قبل أن يدينوها، هذا ما تتعرض له هذه المقالة وغيره مما طبعت به حياة جيانغ كينغ تاريخ الصين الحديث، تاريخ الصين الجديدة، الصين الاشتراكية.

**مدخل:**

من أجل إدراك الدور الذي قامت به جيانغ كينغ، القائدة الشيوعية الماركسية-اللينينية، الوفية للثورة الصينية حتى آخر رمق في حياتها، تلك الحياة التي وهبتها كلها للثورة بهدف بناء صين جديدة، صين خالية من الاستغلال و الاستبداد و الاضطهاد، تلك المناضلة الثورية، التي فهمت أن الاشتراكية كنظام اقتصادي و اجتماعي، و التي تم بناؤها في بلاد شبه اقطاعية شبه استعمارية مثل الصين، لا يمكن أن تغير حياة الصينيين بدون إحداث ثورة في البنية الفوقية، في العقليات، و خلق ثقافة جديدة تتمشى مع الوضع الجديد للصين، ثقافة تعكس الأسس المادية للبناء الاشتراكي.

من أجل كل هذا، و لمواقفها الثورية الجريئة، و لمدة 15 سنة كانت جيانغ كينغ سجينة لدى التحريفيين، الذين انقضوا على السلطة سنة 1976 مباشرة بعد موت ماو تسي تونغ في شتنبر من نفس السنة.

لقد ناضلت جيانغ كينغ بصرامة طيلة حياتها النضالية ضد القوى التي أرادت الإبقاء عليها غير مرئية و صامتة، أي كامرأة ظل لماو، داخل الحزب الشيوعي وخارجه، و انتهت حياتها في السجن، بعد إصابتها بالسرطان في 14 ماي 1991 على أيدي أعدائها الملطخة بالدماء، و ادعت السلطات التحريفية كما عادة كل الأنظمة الرجعية بأنها انتحرت، في محاولة لتبخيس المناضلة الثورية التي كانتها هذه المرأة، و للتقليل من أهمية كل العطاءات التي منحتها للثورة، أي القيام بعملية محو مخزية لا يليق بفعلها سوى التحريفيون.

بالنسبة لأولئك الذين يحلمون بالثورة، بل أكثر من ذلك، أولئك الذين يقدرون على القيام بها، فإن جيانغ جينغ تظل نموذجا للشجاعة، بنضالها الذي لا ينقطع ضد العادات القديمة و الأفكار الرجعية و المحافظة.

فمن أجل زرع أفكار جديدة عبر المنعطفات و التقلبات الدامية أحيانا، التي سمحت بخلق نظام جديد، بإخلاصها لقضية الشيوعية – لقضية ماو – كانت طيلة حياتها قادرة على تقديم إسهامات هامة للتربية ولفهم الثورة البروليتارية.

لقد دافعت بكل جوارحها عن حق الجماهير في زعزعة السماوات، و تحدي التقليد في كل مناحي الحياة، و ناضلت من أجل تحويل العالم من الأسفل إلى الأعلى من أجل كنس الطبقات، و كل أشكال اللامساواة الاجتماعية، الشيء الذي خلق لها صراعات مع أولئك الذين وقفوا ضد هذه الرؤية الطموحة التي علمها لها ماو. لقد كانت الماركسية – اللينينية دائما، و إسهامات ماو في قلب الإيديولوجيا التي كانت دائما تدافع عنها.

و بالرغم من أنها لم تتح لها فرصة لعب دور علني في الحياة السياسية قبل سنوات الستينات، فقد كانت في سنوات حصارها من طرف الأعداء من داخل الحزب أكثر من خارجه، قد تهيأت للأدوار العظيمة التي ستقوم بها فيما بعد، من خلال الأبحاث و التحقيقات التي اضطلعت بها في الميدان الثقافي، خاصة في ميدان الفنون، و في ميادين أخرى مثل الإصلاح الزراعي. و في الصراعات الداخلية التي كانت تهز الحزب زمن "القفزة الكبرى إلى الأمام" وبعدها، ساعدت ماو و العناصر الثورية بكل همة و تفاني، في إطلاق الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

لقد غاصت هذه البروليتارية اللامعة، التي لا تلين لها قناة، بسرعة و حيوية قل نظيرها في قلب النضال و معمعانه، كلما تطلبته تلك الأوقات المضطربة للثورة الثقافية، فقد ضخت فيها طاقة سياسية هائلة، و تحملت فيها القيادة في جزء كبير منها، مساندة الشباب المتمرد و مانحة بسخاء نصائح عملية للشعب، الذي يناضل من أجل الخروج من الدروب المطروقة و أخذ طريق التجديد، طريق الاشتراكية.

كان نضال جيانغ كينغ ضد التحريفيين – الذين كانوا أغلبية – في المجالات الهامة للثقافة و للتربية، هو الذي رسم الطريق للإطاحة بهم خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، كما تركت بصمتها أيضا في تثوير الفنون، و ناضلت من أجل تقدم النساء، بإزالة بعض العقبات، كما قدمت المثال عن النموذج الحي للتحرر.

كقيادية بارزة في الحزب الشيوعي الصيني خلال العشر سنوات الأخيرة للسلطة البروليتارية، انخرطت جيانغ كينغ بكل نشاط في الصراع الطبقي الشرس داخل الحزب، مقاتلة بلا كلل، من أجل تعزيز الطابع البروليتاري الثوري، و الخط الصحيح للحزب، تحت قيادة ماو، من أجل الدفاع عن تقدم الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و تقويتها، و قد كانت الأجنحة التحريفية آنذاك داخل الحزب الشيوعي الصيني تأمل تحطيم الخط الثوري لماو، مستغلة كل منعطف في الصراع، وإعادة تنظيم جديدة داخل الحزب لكي تحاول إرجاع الرأسمالية و السير بالصين في الطريق الاشتراكي الامبريالي الفاشي.

إن هذا و غيره كثير و عظيم من المسار الذي سارت فيه جيانغ كينغ قبل أن يؤدي إعدامها إلى وقفه، من طرف أولئك الذين ظلت المرأة شوكة في حلقهم، الثورية المزعجة للتحريفيين، البروليتارية التي استماتت في الدفاع عن أفكارها إلى أبعد مدى.

فما السياق التاريخي لنشأة جيانغ كيينغ؟ ما هي الإنجازات التي حققتها للصين و للثورة الصينية؟ هذا ما ستحاول هذه الكراسة إبراز بعض عناصره.

**ا - جيانغ كينغ : الولادة و النشأة**

**1) "إن النساء نصف السماء و عليهن انتزاع النصف الآخر" (ماو تسي تونغ)**

ولدت جيانغ جينغ في 19 مارس 1914 في مقاطعة شانتونغ في منطقة كانت تحت مراقبة الألمان، في إطار تقسيم الكعكة الصينية بين الدول الامبريالية المتنافسة حول المستعمرات، و خلال الحرب العالمية الأولى احتلتها اليابان واستعملتها كطريق نحو أطماعها في الصين.

من أسرة حرفيين فقراء، إذ كان والدها صانع عجلات يرمي جام غضبه، لكونه فقيرا، على زوجته و أطفاله، يعنفهم بكل قسوة، إلى أن قامت زوجته في نهاية المطاف بهجرانه للعمل كخادمة عند أحد الملاكين العقاريين.

هجرت جيانغ كينغ البيت مع والدتها لتستقر عند جدتها في خونان، لكن في سنة 1928 تركتها أمها و عمرها لا يتعدى 14 سنة.

لقد ولدت جيانغ في صين شبه إقطاعية، في ظل نظام باتريارکي إقطاعي، حيث كانت المرأة مجردة من كل الحقوق، و تعيش خارج أية حياة سياسية و اجتماعية، عاشت في مجتمع كانت فيه المرأة سبة و عار، مجتمع مثقل بالعادات و التقاليد، و كانت مجبرة كقريناتها من الطفلات على تضميد القدمين لمنع نموهما، حتى أنه بحكم تفشي هذه العادة أطلق على نساء الصين "النساء ذوات القدمين المضمدة".

و في سنة 1911، أي ثلاث سنوات قبل أن ترى جيانغ كينغ النور، بدأت بوادر التغيير تصل إلى الصين، ففي هذه السنة عرفت الصين واحدة من ثوراتها، التي أطلقت حملة نسائية، هدفها تحقيق المساواة بين الرجال و النساء، لكن هذه الثورة ذات الطبيعة البورجوازية لم تستطع تغيير الوضع البئيس للمرأة الصينية، التي عانت قرونا من الاضطهاد و الاستعباد، لكن ستهب رياح جديدة على بلاد الصين، عندما تأسس الحزب الشيوعي

الصيني، على يد مجموعة من المناضلين كان من بينهم القائد الثوري ماو تسي تونغ، الذي وضع كأحد أهدافه تحقيق تحرر المرأة و المساواة بين الرجال و النساء، لذلك، و خدمة لهذا الهدف أطلق ماو تسي تونغ الشعار الشهير : **"إن النساء نصف السماء و عليهن انتزاع النصف الآخر"** هذا الشعار الذي ستتلقفه جيانغ كينغ و ستحرص على أن يلازمها على طول مسارها النضالي و الحياتي.

تتذكر جيانغ كينغ كيف أنها عانت من الجوع مرارا، فقد ترعرعت في عصر كانت فيه البربرية الامبريالية تجوع الصين، في زمن، كما قال ماو :

**"كانت الأشجار عارية مثل الشعب، حيث الشعب كان يأكل الأوراق، و في ظروف الاضطهاد الإقطاعي، التي كانت فيها الفلاحات يتمنين أن يتحولن إلى كلاب لكي يكن أقل بؤسا" (في إحدى المقابلات مع ماو).**

لكن هذه النشأة البئيسة لم تؤثر على الفتاة، فقد انخرطت سنة 1929 في أكاديمية الفنون الدرامية، و تزوجت في السنة الموالية و عمرها لا يتعدى 16 سنة، لكن سرعان ما انتهى هذا الزواج بالطلاق في هذه السن الصغيرة سنة 1933.

و رغم الجوع الذي عانت منه جيانغ كينغ مرارا، و رغم الظروف التي عاشتها في طفولتها، فقد كانت تعتبر نفسها محظوظة، لأنها استطاعت الذهاب إلى المدرسة. وتحكي جيانغ في إحدى المقابلات، كيف أن المادة التي كانت تكرهها أشد الكره في المدرسة الابتدائية هي الدرس حول أفكار كونفوشيوس، أي فكر يعلمك بالأساس الخضوع و الطاعة، أي كيف يجب الخضوع للسلطات، و أنها كانت تتعرض للضرب بسبب شرود ذهنها، و تتذكر في كثير من الأحيان غثيانها و رعبها كطفلة، من رؤية الفلاحين "المذنبين" تقطع رؤوسهم وتعلق في العمود، و إعدام أولئك الذين يسرقون الطعام، حيث كانت أصواتهم تقري الأسماع، و بالتالي، فإن كل ما عانته جيانغ كينغ في طفولتها داخل الأسرة و المدرسة و المجتمع جعلها متمردة و مشروع ثورية لا يهادن.

في حقيقة الأمر، فإن سنوات التعليم الرسمي في حياتها الدراسية كانت قصيرة، ولم تتعد ثماني سنوات، منها خمس سنوات في المدرسة الابتدائية، و إن كانت تحضر مرارا للدروس الجامعية التي تهمها. و كما عبرت عن ذلك بلسانها، تقول جيانغ كينغ أنها تعلمت أكثر في مدرسة أهم و ذات التأثير الأكبر، ألا و هي مدرسة المجتمع، مدرسة التجربة التي تبدأ بالنسبة لها مع سنة 1933، عندما قدمت طلبا و تم قبولها في الحزب الشيوعي الصيني، الذي كان ما زال في السرية، ففي سنوات الثلاثينات المضطربة، تبين لها أن القيام بالثورة كان أهم جدا من كتابة الشعر، هي التي كانت تكتب الشعر لتعبر به عن مكنوناتها. و مع ذلك، فقد فهمت جيانغ كينغ صعوبات أن تكون عضوا نشيطا في الحزب، عندما تم إرسالها إلى شنغهاي للقيام بأحد الأعمال، و ذلك في خريف 1933، فقد كان الحزب تحت وصاية وانغ مينغ الخصم السياسي الرئيسي لماو، حيث كانت قد حلت بشكل يكاد يكون تاما الانتهازية و أصبحت هي سيدة الموقف.

**2) جيانج كينغ عاشقة الفن، الشغوفة بالمسرح :**

جيانغ جينغ عام 1935

بدأت جيانغ كينغ تهتم بالمسرح، عندما درسته في سن 15 في مدرسة تجريبية للفن التراجيدي كانت تشرف عليها الحكومة، و لم يقبل طلبها إلا عندما آنست المدرسة نقصا في المرشحين من الإناث، لكن ما لبثت المدرسة أن تعرضت للإغلاق، فانتقلت جيانغ مع أساتذة المدرسة و تلاميذها إلى مدينة بكين كعضوة في فرقة مسرحية متجولة.

اعتبرت جيانغ كيينغ المجال الفني مدخلا من المداخل الأساسية لتوعية الجماهير الشعبية، و نشر الفكر الثوري في صفوفها، و قد خاضت صراعا ضاريا ضد الرجعيين و ضد التحريفيين لجعل الفن و الأدب في خدمة الشعب و الشعب في خدمة الفن.

و شكلت جيانغ مع أصدقائها "المؤسسة المسرحية للساحل" التي كانت تذهب إلى البوادي لتلعب قطعا مسرحية ضد اليابان، و جعل الكومونات السوفياتية التي أقامها الجيش الأحمر الصيني أكثر شعبية.

لقد اكتشف الممثلون درجة الفقر في البوادي، التي لم يشاهدوا مثلها في المدن و تيقنوا بكل وضوح أن الجدل الفاصل بين أهداف الكيومنتانغ الوطني و الحزب الشيوعي أبعد من أن تكون مسألة أكاديمية صرفة بل هي أكثر أبعادا من ذلك.

لقد أصبحت جيانغ ممثلة مسرحية، وكانت تلعب مسرحيات في عدد من المصانع التقدمية، تنادي الشعب من خلالها إلى الدفاع عن الصين ضد اليابان.

وكممثلة مسرحية، قامت جيانغ كينغ في مسرحياتها بأدوار تعالج الكثير من القضايا الاجتماعية، و لم يكن من الأمر السهل بالنسبة لها، و هي تعيش في مجتمع إقطاعي باترياركي يحتقر المرأة و يستعبدها، أن تمارس مهنتها كممثلة مسرحية بالشكل الذي تريده و تقتنع به، و تريد بواسطته تغيير المجتمع الصيني و العقلية الذكورية الملازمة لهذا المجتمع، و في مسرحياتها، وكممثلة مسرحية، كانت تعالج الكثير من القضايا الاجتماعية، مثل واقع العمال في المصانع الاستعمارية، و القضايا السياسية، منها الدعوة لمقاومة الاحتلال الياباني. خلال هذه الفترة (ابتداء من 1933) التقت الممثلة جيانغ كينغ أعضاء الحزب الشيوعي، و ستلتحق في يانان بالقاعدة الشيوعية الحمراء التي بناها الحزب هناك، و ابتداء من هذه السنة سيكون انطلاق الحياة المهنية لجيانغ كينغ كممثلة، و ستتزوج أحد النقاد السينمائيين، الذي ستغادره بعد سنوات قليلة من الزواج سنة 1937، فالفتاة المتمردة على المألوف، التي كانتها جيانغ بل الثورية العنيدة، جعلها لا تستطيع الاستمرار في كل ما يمكن أن يضعها في قالب مغلق، فالبحث عن الحرية عندها لم يكن ليتوقف.

و بهذا يتبين أنه لا يمكن أن يستقيم الحديث عن جيانغ و المؤثرات التي كانت بالغة في حياتها، دون الوقوف عند ميدان الفن الذي تولعت به أشد الولع، و الذي كان عشقها الأول، و خاصة الفن المسرحي، فقد أسست فرقة مسرحية كانت تقوم بجولات عبر ربوع الصين، و عبر هذا المسرح المتنقل عاينت جيانغ كينغ، و وقفت عن كثب على واقع الصين، و خاصة ريفه، حيث أن 90% من السكان هم فلاحون فقراء، لكن جيانغ كينغ ستنتقل من امرأة تهتم بالفن كوسيلة للتعبير، إلى ثورية تنخرط في الحزب الشيوعي الصيني، و أن هذا الفن سيستمر عندها كسلاح للتعبير لكن بروح شيوعية ثورية.

و بالإضافة إلى المسرح جربت جيانغ التمثيل في السينما، فقد لعبت العديد من الأدوار في السينما لتتمكن من العيش بالأساس، و بالإضافة إلى أنها أدركت أن هذه الصناعة لا تزال تهيمن عليها هوليود بالكامل باستثناء بعض الأفلام، فقد أدركت أيضا، أنه، لكي تكون المرأة ممثلة سينمائية في عقد الثلاثينات في شنغهاي، معناه التصادم مع التقاليد في كل جبهة، فقد كانت مهنة محتقرة، و أولئك اللواتي يمارسنها يعتبرن نساءا منحلات، ذوات أفكار، تعد راديكالية من الناحية الاجتماعية. لقد كانت الممثلات هدفا للاضطهاد الشخصي، الذي كان يهدف إلى تطهير هؤلاء "الضحايا من غرائزهن"، و قد أدى هذا التحرش بأكثر من واحدة إلى الانتحار.

كان الكاتب الثوري الشهير لوسن، الذي كان له تأثير كبير جدا في ذلك الوقت، و الذي تعاطف مع الشيوعيين، واحدا من مرشدي جيانغ كينغ، و قد كتب عن ذلك، و عن تحرير المرأة بشكل عام في العديد من المقالات، بما في ذلك كتاب بعنوان "النميمة أمر مخيف" الذي يعالج المعاملة غير العادلة المفروضة على النساء في مجالات الترفيه، و الهجمات الصحفية ضد النساء.

**II - يانان : جيانغ كينغ طالبة ماو المتحمسة و رفيقته في السلاح**

على الرغم من أنها انضمت إلى الحزب الشيوعي الصيني قبل بضع سنوات إلا أن كل شيء في مسار حياة جيانغ كينغ يشير إلى أن إقامتها في يانان، هي التي شكلت بالنسبة لها بدايتها السياسية و الإيديولوجية الحقيقية. فقد كانت تتابع محاضرات ماو تسي تونغ، و انضمت إلى مدرسة الحزب بموازاة عملها و دراستها في أكاديمية الفنون و الآداب لوهسون، وقد قامت جيانغ بتأسيس فرق مسرحية ساهمت في خدمة الجبهة.

غير أن العمل في المسرح و السينما لم يكن نشاطها الرئيسي، فعندما قدمت جيانغ إلى يانان في خضم الحرب، أمضت ستة أشهر في التدريب العسكري، و بدأت دراسة الماركسية – اللينينية بجدية.

جيانغ جينغ وماو تسي تونغ عام 1938

كان ماو يولي اهتماما كبيرا للقضايا الثقافية، و قد كان يبتعد في بعض الأحيان عن جدول أعماله المزدحم لمناقشة الفن و السياسة مع القادمين الجدد، و قد أصبحت جيانغ طالبة متحمسة لماو، و قبل نهاية سنة 1938 تزوجته، فقد وجد فيها ماو المرأة المتحررة و المتحمسة، التي لها كل مميزات

المناضلة الثورية القادرة على الدفاع على فكر ماو ومشروعه التحريري إلى أكبر مدى و أقصى الحدود، فقد كان حماسها لقضية التحرر و التغيير الثوري لا يستطيع أن يتجاهله أحد و كان ماو من الذين أثارهم هذا الحماس.

و قد أنجبت جيانغ من ماو طفلتهما لي نا، التي تربت مع ابنة أخرى لماو من زواج سابق هي لي مين.

عندما توفي ماو تسي تونغ في شتنبر 1976، كان التوقيع المرافق لأكاليل الزهور التي أهدتها له في جنازته عبارة تقول : "**من طالبتك و رفيقتك في السلاح**"، و قد كانت حقا طالبة لماو ورفيقته في السلاح خلال حياته و بعد مماته، و قد كانت حقا ذلك السلاح الذي سيشهر في صدر التحريفية و كل الخارجين عن خط ماو الثوري، إن السلاح الذي امتشقته جيانغ كان سلاحا فتاكا موجه نحو كل ما يعوق الثورة الاشتراكية الصينية في أن تصل إلى أبعد مدى، وكان هذا المدى الثورة الثقافية الصينية البروليتارية الكبرى التي أبلت فيها البلاء الحسن جر عليها كل ذباب التحريفيين، لقد كانت المعلمة للشعب الصيني و استمرت كذلك إلى غاية كتم أنفاسها.

على مدى 38 سنة من زواج جيانغ بماو، و صفت علاقتها بالزعيم الصيني، (أو بالأحرى المربي الثوري الصيني، إذ كان اللقب المحبب إليه أكثر) بتلك الطريقة: "طالبتك و رفيقتك"، إذ ظلت جيانغ طيلة ارتباطها بماو و إلى غاية و فاتها تتعلم من ماو و تغرف من فكره.

وعلى الرغم من العواصف السياسية العديدة، التي واجهتهما معا، و قد كانت قادرة على هد الجبال، كانت خلال الفترة المضطربة التي عبراها في المناطق المقسمة في يانان، و خلال السنوات الأخيرة من حرب التحرير في شمال غرب الصين، قد تصلبت هذه الروابط، لأن العلاقات الحقيقية و الصادقة دائما تصلبها العواصف و الأعاصير.

كان كل من حل بالمنطقة من الزوار الأجانب، يؤكد على الروح الراديكالية، التي سادت في تلك الأيام من "الحرب الشيوعية" في يانان، عندما تآخى القادة العسكريون الشيوعيون مع الفلاحين، حيث رقص الشيوخ و والشباب معا، و حيث كان الجنود يزرعون الأرض، عندما كانت الحياة بسيطة نسبيا، مدفوعة بالهدف الوحيد، المتمثل في شن حرب ثورية شعبية، لما بدأت ملامح مجتمع جديد قيد الظهور، كما وعد ماو بذلك في شعار مكتوب على جدران يانان :

**"مع وجود مدراة على كتف، و بندقية على الكتف الأخرى سوف نحصل على إنتاج الاكتفاء الذاتي و نحمي اللجنة المركزية للحزب"**.

لا يعرف مدى تدخل الحزب الشيوعي الصيني في زواج ماو، فقد كان مقبولا بشكل عام، لكن التوجس من المرأة كان حاضرا، و كثير من الوقائع و الأحداث التي مرت منها جيانغ يظهر فيها هذا التوجس من المرأة، فيكفي أن تكون امرأة بالغة التحرر، في مجتمع لم يتخلص بعد من عقلية الفلاحين المحافظة حتى في صفوف أعضاء الحزب الشيوعي الصيني، امرأة تمثل في المسرح و السينما، امرأة جعلت من الثقافة قضيتها، قبل أن تكون قضية حزب ثوري، فكل هذا لن يحقق لها الإجماع على زواجها بماو، و كانت الموافقة على زواجهما بشرط واضح بأن الزوجة لا تصبح بارزة ، و هو موقف كان يخنق مبادراتها مرارا على مر السنين، بعد التحرير، و في لحظة تنفيذ مهام الثورة و البناء الاشتراكي.

انضمت جيانغ كينغ إلى مجموعة من الرفاق، الذين شاركوا في مشروع استصلاح الأراضي (استرجاع الأراضي و الاكتفاء الذاتي الكموني)، و قد طرح ماو هذا المشروع سنة 1939 لتشجيع الإنتاج في تلال نانيوان، و كان العمل اليدوي الذي سيتم تنفيذه يستغرق 6 اشهر.

و أصبحت جيانغ كينغ لمدة زمنية، السكرتيرة الخاصة لماو، و حضرت منتدى يانان الشهير حول الفنون و الآداب، و كان ماو، الذي يصر دائما على كتابة نصوصه بيده عندما يمنعه المرض من أن يقوم بذلك بنفسه، كانت جيانغ هي من يقوم بذلك. و رغم أنها تفوقت في هذه المهمة و مارستها عن اقتدار، إلا أن قادة الحزب الآخرين، لم يظهروا لها أي احترام أو تقدير.

واجهت جيانغ جينغ عدة أمراض، و كان المرض الذي لازمها في هذه المرحلة من نهاية الثلاثينات و بداية الأربعينات، مرض السل، و لم يكن هذا المرض مانعا لها للانخراط في أعمالها الثورية، فقد واصلت تدريس الدراما في أكاديمية لوهسون، و قامت هناك بكتابة نصوص المسرحيات التي كان يتم عرضها في الجبهة أمام المدنيين و العسكريين، منادية الشعب بالمقاومة ضد الهجوم الياباني.

و في مارس 1949، قام تشيانغ كاي شيك بقنبلة يانان و قد أجبر هذا قادة الحزب الشيوعي على مغادرة المدينة.

في الفترة ما بين مارس 1947 و يونيو 1949 عملت جيانغ كمدربة سياسية في الفرقة الثالثة على الجبهة الشمالية الغربية، حيث عرفت حرب التحرير، التي كما تقول جيانغ، شكلت السنوات الأكثر صعوبة، و يتعلق الأمر هنا بالفترة التي ألهمت الأعمال الشهيرة و المبكرة، التي أنتجت خلال الثورة الثقافية : "كونسيرتو بيانو النهر الأصفر"، فضلا عن اثنتين من الأوبرا الثورية : "الفانوس الأحمر" و "شاشيابونغ" . و تتذكر جيانغ الاستقبال الحار، الذي أولته الجماهير لماو و دموع الفرح التي تغمر وجوههم، عندما كان الزوجان الرفيقان يزوران القرى على طول الطريق الذي يمر عبر المسيرة الطويلة، كما تتذكر الاحتياطات المتخذة لحمايته وسط الحشود.

كانت المهام التي ندرت لها جيانغ متعددة، و تطابقا مع بيان ماو في 10 أكتوبر 1949، الذي يدعو فيه كل السكان إلى القضاء على تشيانغ كاي شيك، و لتوحيد الأمة، فقد كان واحدا من مهام جيانغ تنظيم حملة، للتذكير بالآلام، التي عاشتها الفرق العسكرية، و تنفيذ حملة المراقبة الثلاث، و التي تعني الإشراف على تحقيق الامتثال لمدونة قواعد السلوك للجيش الأحمر، على النحو المنصوص عليه في قواعد الانضباط الثلاثة و الوصايا الثمانية.

بعد ذلك بوقت قصير، بدأت حملة أكثر عمومية لتقوية الجيش، بينما انتشرت كتابات ماو حول الديموقراطية الجديدة في الصين، كمقدمة للإصلاح الزراعي، كما قادت جيانغ مجموعة من المناقشات كجزء من وحدة الدعاية المتنقلة، و في وقت لاحق، عندما تم تنظيم دولة الديموقراطية الجديدة في بكين في ربيع 1949 انضمت إلى سكرتارية الحزب. و كانت جيانغ تقضي وقتها بين التزاماتها في الجبهة و تقصي بشكل عميق الوضعية السياسية و الاجتماعية للفلاحين، بهدف إطلاق الإصلاح الزراعي.

كانت جيانغ جينغ المرأة المتعددة التخصصات و المهام و المشاغل و الوظائف، فلأنها تحمل الصين الوطن و الصين الشعب في سويداء القلب فقد كانت توجد في جميع الجبهات، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، و السياسية، و في كل هذا أبلت البلاء الحسن، و أبانت عن قدراتها و إبداعاتها الخلاقة، و في كل هذا رغبة متأججة في إخراج الصين من الظلمات إلى النور، نور الصين الشيوعية.

### III - جيانغ كينغ و الإصلاح الزراعي لتحقيق الاشتراكية :

**في تلال ينان**

كانت لجاينغ كينغ قدرة ملحوظة على تحسين معرفتها و صفاتها كناقدة ثورية، و كذلك على ترقية المفهوم البروليتاري للفنون، كما فاقت قيادة الآخرين في هذا المجال، و قد تطورت هذه الكفاءة بفضل تحقيقاتها و أبحاثها العديدة، التي كانت تقوم بها، مطبقة على أحسن وجه مقولة رفيقها ماو : "هاتوا التحقيقات و دعوا الحماقات" .

في الخمسينات من القرن 20، عندما كانت تحارب القوى التي كانت تريدها أن تكون غائبة و صامتة، أثناء متابعة الدراسة الإيديولوجية و التطور السياسي للمواضيع التي تعالجها، كانت جيانغ تتقن القدرة على العمل بين الجماهير، و قد سمح لها هذا بتطوير المعرفة، على أساس الظروف التي يواجهها الفلاح و العامل، للنضال من أجل تثوير المجتمع، و قد تبين أن ذلك قد شكل فائدة كبيرة لها في المواجهة التي كانت لها مع الفنانين في العشر سنوات بعد ذلك، حول تقديم الصفات الثورية لهؤلاء الأبطال الجدد، الذين حلوا محل الأسياد و الأباطرة على خشبات المسارح في الصين، هذا دون الحديث عن قدرتها على تبني موقف مناسب في الصراع الطبقي الذي احتدم على أعلى مستويات الحزب.

بعد أن أضعفتها الحرب و الآلام التي لازمتها بسبب مشاكل صحية عديدة، تم إرسال جيانغ مرارا إلى موسكو في العشرية الموالية من أجل علاج طويل، لأن أغلبية المستشفيات كانت قد دمرت خلال سنوات الحرب، و بطبيعة الحال، فإن أعداء ماو السياسيين رأوا في ذلك طريقة من أجل إبعادها عن طريقهم، و في أواخر الخمسينات منعت من الحصول على إذن بالعودة إلى بكين، بعدما لم يفعل أطباء أي شيء لتحسين حالتها الصحية، و قد كان سرطان الدماغ يهدد حياتها.

كانت سعادة جيانغ غامرة، عندما وردت أخبار الإضراب الجريء لجيش التحرير الشعبي ضد السفينة الحربية البريطانية أمتيست، التي رست على الساحل في أبريل 1949، و قد علمت بالإضراب من الراديو السوفياتي. بوقت قليل بعد ذلك، في خريف نفس السنة تأسست الجمهورية الشعبية للصين فعادت إلى بكين لتهيئ هناك الخطط، التي تسمح لها بدراسة المناطق الفلاحية القريبة من شنغهاي، حيث بدأ الإصلاح الزراعي على التو.

في السابق، خلال الحملة الشمالية الغربية، كانت جيانغ قد اكتسبت خبرة بإدخال سياسة ماو الثورية في مجال الزراعة و قادت الفلاحين للإطاحة بالملاكين العقاريين الأغنياء.

و بعد أن تم تخريب رحلة رسمية إلى المناطق الريفية في شنغهاي، من قبل المرتدين من الحزب، الذين كانوا يسيطرون على مساحة شاسعة من الشرق (على ما يبدو، من المحتمل أن يكونوا من الموالين ل **وانغ مينغ** التحقوا بالكيومنتانغ بدون علم ماو) اضطرت جيانغ كينغ إلى أن تتدبر الأمر بنفسها للوصول إلى مدينة **ووسيه** الصناعية في منطقة **كيانغسو**، هناك درست السوابق التاريخية لهذه المقاطعة، و نظام تأجير الأرض و الاقتصاد المحلي، قبل زيارة محيط الريف، تقول جيانغ جينغ :

**"تعلمت بهذه الطريقة مثلا، بأن المزارعين لن يتمكنوا من العيش بمزروعهم، ما داموا يخصصون جزءا كبيرا من حقولهم لزراعة الشاي و إنتاج الحرير مقابل القليل من الأرز، و توقف الإنتاج بسبب سنوات من الاحتلال الياباني، الذي يمنعهم أيضا من إنتاج ما يمكن أن يغذيهم".**

بعد سنوات، زارت جيانغ كينغ ما كان مقاطعة "نموذجية" للكيومنتانغ، حيث لم يسمح للنساء بزراعة الأرض، بالرغم من أنهن يقمن بمعظم العمل، في الوقت الذي كان فيه الرجال يلعبون و يشربون الشاي. و تقول: "لذلك بدأت في ممارسة الحراثة". لقد كانت التفاوتات المادية بين الرجال و النساء أكثر وضوحا في الريف عنها في المدينة، فعلى الرغم من توزيع الأراضي على الناس من كلا الجنسين على قدم المساواة، إلا أن هذا القانون لم يطبق بشكل عادل، و غالبا ما كانت النساء يمتلكن أراضي أصغر أو أقل خصوبة، و لم يجرؤن على الثورة، تحت وطأة اضطهادهن.

و بالرغم من المرسوم، اذي أصدره الحزب الشيوعي للحكومة، و الذي دعا إلى الأجر المتساوي عن العمل المتساوي، فقد ميز الرجال أنفسهم عن النساء، عندما منعوا هؤلاء الأخيرين من استعمال أدوات المزرعة، و تركوا لهن المهام ذات الأجر الأقل، و قد اعتمد قانون إصلاح الزواج في سنة 1950 أساسا لحماية المرأة، و منحها حرية الاختيار و الحق في الطلاق، و كما وصفت جيانغ كينغ ذلك، أنه من الصعب قلب الممارسات القديمة و الأفكار التقليدية، كما استمر الزواج القسري في بعض المناطق. و قد سافرت جيانغ كينغ إلى عدة قرى خلال هذه الفترة، للمساعدة في تسوية نزاعات الطلاق و توجيه المستشارين المحليين للحزب لمعرفة كيفية معالجة هذه القضايا الشائكة، و تشجعهم على رأي عام لإقناع المخالفين، بدل تمجيد الحلول المعادية وسط الجماهير كعقوبة الإعدام مثلا في قضايا الطلاق.

كانت جيانغ كينغ تشارك بحماس في الصراع الطبقي، الذي حول كل المناطق الريفية في الصين، و شرعت أيضا في خريف 1951 مع فريق العمل، في الإشراف على تطور الإصلاح الزراعي في منطقة **ووهان** على طول نهر **يانغتسي**. لكن في الوقت الذي كانت فيه جيانغ تتمتع بدعم ماو، فإن أعضاء جهاز الحزب السبعة، لم يكونوا متفقين على هذا التواصل مع الجماهير، فرفضوا ذلك، و أمروا بطردها من القطار مع مرافقيها حتى قبل وصول القافلة إلى الريف. رفضت جيانغ التخلي عن مهمتها، مرفوقة بحراسها الشخصيين، و عملت على القيام بتحقيق خاص في هذه المنطقة الصعبة بشكل خاص، التي كانت معقل حزب الكيومنتانغ خلال سنوات طويلة من الحرب الشعبية، و الذي أبدى مقاومة شرسة للإصلاح الزراعي، و قد كان الإصلاح الزراعي هنا يعرف صعودا و هبوطا.

تنبغي الإشارة هنا إلى أن الحزب كان يقود الإصلاح الزراعي، لكنه كان يثق في الجماهير من أجل تطبيق نزع الملكية و إعادة توزيع الأراضي، و قد كان الحزب يرسل مجموعات إلى مختلف مناطق البلاد من أجل تحسيس الفلاحين تجاه هذه الغاية، و رغم أن هذه المهمة كان قد تم القيام بها في المناطق التي كان يقطعها جيش

التحرير قبل 1949، فإن المناطق التي ظلت تحت مراقبة الكيومنتانغ حتى التحرير بقيت متأخرة و رجعية، و ليس إلا في اللحظة، التي أصبحت فيها سيرورة توعية الفلاحين منظمة تم تبني الفلاحين للتصورات الثورية.

كان ماو قد حدد ثلاث "جبال" يجب التغلب عليها، و هي الإقطاعية، الرأسمالية البيروقراطية و الامبريالية، و هذا ما تمت ترجمته في البادية بالنسبة للجبل العنيد الأول، ألا و هو الإقطاعية، و ذلك بتنحية الملاكين العقاريين و طبقة الوجهاء المحليين، الذين ترأسوا منظمات أسياد الأرض.

حدد فريق جيانغ كينغ ما بين 8 و 20% من أسوء المخالفين، و وفق قانون الإصلاح الزراعي تم تقديمهم أمام القضاء. و قد وصفت جيانغ كينغ مدى صعوبة احتواء غضب الناس بمجرد أن ينفجر غضبهم ضد هؤلاء الوجهاء (الطغاة) المكروهين، ففي بعض الأحيان، كان على الحراس حمايتهم من الناس، الذين يريدون على الفور ضربهم حتى الموت، و قد قام فريق جيانغ كينغ بعرض العديد منهم أمام محكمة الشعب للحكم عليهم في بعض الأحيان بالإعدام، و بعد ذلك يتم توزيع عقاراتهم و ممتلكاتهم، وفقا لمعايير طبقية صارمة.

كان الاتجاه العفوي، يتمثل في توسيع الأهداف الاجتماعية، مما يعني أن الطبقة الوسطى الريفية (التي كانت عادة ما تتوفر على أراضي صغيرة ذات قيمة منخفضة) كانت في بعض الأحيان قد تمت مصادرتها، أو تحديد المزارعين الأغنياء كملاكين عقاريين، لكن كانت تحدث أخطاء من طرف اليمين تسمح بترك الأسياد يخرجون من المأزق.

بالنسبة لجيانغ كينغ، فإن التفاوت الطبقي يتباين من منطقة إلى أخرى، و يجب وفقا لذلك، تطبيق القوانين الزراعية وفقا للظروف و السياقات.

و في التقسيم الذي كان يتم فيما يتعلق بثروات و ممتلكات الأسياد، فإن أعضاء الحزب يدفعون الفلاحين إلى التحلي ب "عقل واسع"، و أصروا على أن كل أسرة يجب أن تأخذ فقط ما تحتاجه.

تتذكر جيانغ، و هي تضحك، مشهد من ذلك الزمن، عندما كان الأسياد يتحركون، و هم يلبسون كل طبقات الملابس الممكنة حتى لا يعطونها، و في بعض الأحيان يرتدون ملابس كثيرة، لدرجة أنهم لا يستطيعون التحرك.

و من أجل الإشراف على مهام الإصلاح الزراعي، بدأ فريق جيانغ دراسة الماركسية – اللينينية، و حاول، تحت إصرار ماو تطبيق الحاجة إلى **"أن تكون منظما"**، و بعد توزيع الأراضي، كرست جيانغ نفسها لهذا الشعار **"لنقيم حكومة ديموقراطية جديدة، و لننظم انتخابات لجمعيات الفلاحين"**.

في الوقت الذي كان فيه ماو يضع سلسلة من المقالات بعنوان: "الارتقاء الاشتراكي في الريف الصيني"، بهدف إعداد الرأي العام لولادة التعاونيات، في سنة 1955 نشرت جيانغ جينغ أيضا نصا مسرحيا بعنوان "هل يحصل الشعب على ما يكفي من الطعام من الحصة الغذائية؟" و في ذلك حددت حاجة الأفراد و اختارت التقنين الغذائي للمدينة، حيث كانت فيها مقاومة قوية لإعادة تنظيم إنتاج الحبوب.

**IV - جيانغ كينغ و زارعة بذور الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى**

**1) صراع بلا هوادة ضد المثقفين البورجوازيين**

استخدمت جيانغ كينغ النقاهة الطويلة التي مرت بها في أعقاب أمراض خطيرة ألمت بها، لقراءة الكثير من الكتب و مجموعة متنوعة من المواضيع.

لقد ركزت على النضال السياسي الذي اعتبرته مركزيا "**بين طبقة العدو و أنفسنا**" على حد تعبيرها، و أصبحت منخرطة في قراءة الكتب و المقالات الجديدة، و اختيار المقاطع الأكثر أهمية للفت انتباه ماو، و إعطاء رأيها الخاص حول القضايا الرئيسية، و كانت على الخصوص تتحمل مسؤولية التحقيق في المشاكل الدولية.

كانت جيانغ لا تترك "شاذة أو فاذة" لا تطلع بها رفيقها ماو خاصة خلال المرض، فخلال شتاء 1953، بينما كان رفيقها ماو في سريره طريح الفراش، كانت تخبره بالأحداث، و ذلك من خلال قراءة الصحف و البرقيات. و في سنة 1954، قرأت له مقالا كتبه طالبان، انتقدا فيه النهج البورجوازي لأستاذ خبير مزيف للرواية التاريخية للقرن ال18، و الذي قام، من بين أمور أخرى بإجراء دراسة حول كتاب "**حلم الغرف الحمراء**"، و أظهرت نقد الطلاب هذا إلى ماو، و طلب منها أن يتم طبعه من قبل صحيفة الشعب اليومية، و سرعان ما أدركت أنه بقدر ما كانت الصحف الأدبية مؤثرة، فقد رفضت يومية الشعب نشر المقال، لأن الذين كتبوه لم يكونوا جزءا من دائرة المؤلفين المرموقين، و بالتالي لا يستحقون امتياز خلخلة التصورات المسبقة، و قد عرف المقال نفس الاستقبال من قبل إدارة الدعاية التابعة للجنة المركزية، فأصدر ماو بيانا يشيد فيه بالمقال باعتباره يشكل "**أول هجوم خطير خلال 30 عاما**" ضد خبراء الرواية المزيفين.

كانت جيانغ كينغ بالفعل قد أزعجت عش دبابير، بمهاجمة عدد آخر من المؤلفات، التي كتبت في مدح الإقطاع و الطبقة البورجوازية القديمة، و قد جلب كل ذلك انتباه ماو.

كان واحدا من هذه الأعمال، فيلم تحت عنوان "**في ملعب شينغ**"، الذي كان موضوعه عن ثورة البوكسر سنة 1900، و هو يصور الفلاحين كجاهلين و بربريين، في حين أنه يمجد الامبراطور ماندشو، أي الارستقراطية الليبرالية كما يزعمون، و اعترضت جيانغ كينغ على عرض الفيلم، و استنكرت الترويج "الوطني" الذي نظمه لي شا وشي و غيره ممن يحيطون به.

عندما شاهد ماو الفيلم وصفه بأنه خيانة وطنية، في زمن حركة الإصلاح الزراعي. و قد كشفت جيانغ عن تعزيز التطلعات البورجوازية في فيلم ووهسون، الذي خرج للعرض على الشاشات سنة 1950، فقد كان فيه التبشير بالتحرير و النجاح الاجتماعي عن طريق التعليم، و بعض الرضى عن النفس تجاه الوجهاء الإقطاعيين، فقد كان يشاهد فيه "ووهسون" كرجل فقير يقتصد كل قرش للحصول على فوائد من الملاكين العقاريين المرابين على رأسماله الصغير، حتى اليوم الذي يتمكن فيه من شراء أرض لبناء مدرسة و توفير تعليم مجاني للأطفال الفقراء.

عندما قال شو يانغ، نائب وزير الثقافة، أنه يمكن جيدا، في الفن تحمل القليل من الإصلاحية، صفقت جيانغ الباب غضبا استياءا قائلة : "**إذن امضوا قدما في إصلاحيتكم**". و على الرغم من أن ماو كان يعتقد أنها كانت تهدر وقتها، إلا أنها انكبت لمدة ثمانية أشهر على إنجاز تحقيق حول حياة و أسطورة **ووهسون**، لقد كانت تريد أن تكون قادرة على إطلاق نقد يرقى إلى مستوى العلم، من أجل تقويض أركان المدافعين عن المقاربة البورجوازية في الفنون (إنها البذور الأولى التي تزرعها جيانغ لما سيعرف لاحقا بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الصينية، و هي المؤشرات الأولى عن ما سوف تواجهه جيانغ من عداء تجاه كل مبادراتها و انخراطها في هذه الثورة، بل و قيادتها).

حاول تشويانغ منذ البداية منع جيانغ كينغ من مباشرة مشروعها، و عندما لاح أن سيفشل مع امرأة ثورية عنيدة و مصممة عين لها سكرتيرة لاحقا، على أمل تخريب عملها في مقاطعة شانتونغ، حيث كانت أسطورة **ووهسون** تحظى بشعبية كبيرة، و يبدو أن سيد المكان كان يروج ل ووهسن كنموذج للفلاحين يحتذى به.

أثناء التعمق في ماضي هذه الشخصية، تمكنت من التعرف قليلا على أصله الطبقي، و قد دعت ناس المنطقة إلى إزالة الغموض عن شخصية **ووهسون** الشهيرة، و اتضح أنه لم يكن مجرد سيد له عدة عشيقات، بل إنه كان مكلفا بمحاربة انتفاضات الفلاحين، التي كانت واسعة الانتشار في ذلك الوقت في غرب شانتونغ.

أرسلت جيانغ كينغ تقارير إلى مدير صحيفة الشعب اليومية، التي بدأت في نشر نتائج أبحاثها، لكن الفصائل الأخرى أيضا "ذهبت إلى المصادر" لكي تعبر عن نفسها، و في سنة 1951، أخذ الجدل حول نموذج ووهسون نطاقا واسعا لنقاش اجتماعي حقيقي.

و قد رأى ماو أنه من المناسب كتابة افتتاحية لصحيفة الشعب اليومية، استنادا إلى وثائق جيانغ كينغ، مؤكدا على **"درجة الغموض الإيديولوجي المبثوث في الأوساط الثقافية لبلدنا"**.

وفقا لعدة مؤلفين، فإنه لم يحدث أن استبدل التاريخ القديم بالجديد، بالإصرار بكل جهد من أجل منع اختفاء المتداعي، ليس عن طريق الصراع الطبقي، الذي يهدف إلى إسقاط الطغاة الإقطاعيين الرجعيين، و لكن بإنكار الصراع الطبقي للمضطهدين و إخضاعهم لهؤلاء الطغاة، على طريقة "ووهسون"، و قد طلب ماو التعليق على الفيلم و المناقشات حول المقالات عن قصة ووهسون. و على الرغم من أن جيانغ كينغ ما زالت غير معروفة لدى الجمهور، إلا أنها كانت منخرطة جدا في المناقشات التي كانت تدور في الأوساط الثقافية، التي كان يسيطر عليها المثقفون البورجوازيون بالكامل، و الذين كانوا مدعومين من قبل كبار الأعضاء التحريفيين وسط الحزب.

في الوقت الذي كان فيه شويانغ يلمح إلى أن جيانغ كينغ كانت تغضب الكتاب و الفنانين، فقد كان في ذهنها انشغالات أخرى، لقد كان الفلاحون يقدمون جهدا ثوريا جبارا لتحويل الزراعة و العلاقات الاجتماعية في الريف، و مع ذلك، لم تكن لهم فرصة لمشاهدة فيلم واحد أو مسرحية في السنة تهمهم، فهل المواضيع المعالجة، عليها أن تناقش الأباطرة و الامبراطورات، المتلألئين، و الوجهاء المتعجرفين الذين يعدون المال، أو ينبغي بالأحرى تسليط الضوء على أبطال جدد، يعني جماهير العمال، الذين يضحون بحياتهم من أجل تغيير المجتمع؟

لقد رفضت جيانغ إسكات الجدال، ولأنها قوية بتحليل ماو – الذي كان خارج المسارات المطروقة – حول الفن و علاقته بالسياسة، فقد ساهمت في الأربعينات في كسر السلام المنتشر في بعض الأوساط المقدسة، التي لم تكن تقريبا أبدا موضوع تساؤل، و ظل تأثرها بالثورة قليلا.

لقد استخدمت جيانغ كينغ هذا الجدل، لإلقاء الضوء على التفكير المتصلب لبعض الكتاب و الفنانين، الذين يتشبثون بمعايير الماضي، و برفقة ماو شجعت الموهوبين المجهولين على تحدي السلطات الرسمية، و خلق طرق لتعزيز الإيديولوجيا البروليتارية و الأبطال الثوريين.

إن هذه المشاهد العاصفة في عالم الثقافة، التي سبقت عقدا من الزمن عواصف ربيع الثورة الثقافية، شجعت عليها حملة "**دع مائة زهرة تتفتح، مائة مدرسة تتنافس**" التي أطلقها ماو سنة 1957، و قد كانت هذه المبادرة تهدف إلى التشكيك بجدية في البنية الإيديولوجية للمجتمع.

لقد أكد ماو "**لاشك أنه يجب علينا أن نضع تحت النقد جميع أنواع الأفكار الخاطئة، و كل خطأ هو موضوع نقد، كل عشب سام تجب مقاومته.**

**بالتأكيد ستستمر هاتان الطبقتان (البورجوازية و البورجوازية الصغيرة) في التشبث و تأكيد أنفسهما بكل الوسائل، في المسائل السياسية و الإيديولوجية، و من المستحيل أن يكونا غير ذلك. يجب ألا نلجأ إلى أساليب قمعية لمنعهم من التعبير عن أنفسهم، يجب أن نسمح لهم بالقيام بذلك، و في نفس الوقت الدخول في مناظرة معهم و انتقاد أفكارهم بشكل مناسب**".

**2) جيانغ كينغ و الهجوم على البنية الفوقية الرجعية و المدافعين عنها**

في أواخر الخمسينات، ازداد الصراع السياسي داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشكل دراماتيكي، فقد أصبح الطريقان أكثر وضوحا و تميزا، فإما المضي قدما في التحول الاشتراكي للاقتصاد و البنية الفوقية للمجتمع، أو التوقف و الراحة مثلما يرغب في ذلك المحاربون القدامى في إعاقة السيرورة في مرحلتها الديموقراطية البورجوازية و تطوير الرأسمالية. إن دعوة خروتشوف إلى "الغولاش" بدلا من الشيوعية عززت ثانية خطر عودة الرأسمالية إلى الصين.

أثناء عقد الاجتماعات العاصفة للمكتب السياسي في لوشان سنة 1959، كتب ماو إلى جيانغ كينغ، إذ أرسل إليها ردا موجها إلى وزير الدفاع **بينغ تيه هوا**، الذي عارض الانتقال السريع إلى الاشتراكية، و كان بينغ على وشك الإطاحة به، بعد ان أصبح ممثلا للخط الذي كان يعمل في اللجنة المركزية، لتشكيل جيش حديث مثل جيش الاتحاد السوفياتي، بدلا من إنشاء ميليشيا شعبية. فباسم الترويج للصناعة الثقيلة و التوجه الموالي للجيش، فقد عارض الخط الذي دافع عنه بينغ، تحول الزراعة إلى تعاونيات كما اقترحت حملة "**القفزة الكبرى إلى الأمام**" .

كانت جيانغ ثورية عنيدة، فعلى الرغم من أن ماو حاول منعها، محذرا إياها من أن النضال المكثف، الذي كانت تخوضه قد يؤثر على صحتها الهشة، إلا أنها كانت تصر على مرافقته إلى الاجتماعات، و ذلك من أجل فهم الوضع على نحو تام.

في اوائل الستينات، ركز الصراع على كيفية تقييم "القفزة الكبرى إلى الأمام" و تطور الشيوعية بشكل عام، وكشف ليو شاو شي، خصم ماو، و الممثل للقيادة الرأسمالية في الجهاز الحاكم لعبته أكثر، فقد طالب بمبالغ مالية طائلة لتشجيع الإنتاج الزراعي، داعيا إلى توسيع الأراضي الخاصة، و تطوير الأسواق الريفية (الرأسمالية) و هلم جرا، و بدون بعض من المصادفة، بدأ ليو شاوشي القيام بزيارات لمزار كونفوشيوس، وعلى الرغم من أن ماو و المعسكر البروليتاري يسيطر بالكامل على الحزب، فإن القوى البورجوازية، التي تركزت بشكل متزايد في الهيئات الإدارية، أكدت قوتها، وسعت إلى التأثير على الرأي العام للاستيلاء على السلطة. لقد سيطر هؤلاء الأتباع التحريفيين على مجالات التعليم و الفنون، المجالات الرئيسية، لتعزيز أيديولوجيتهم و التأثير على

الجماهير، و قد أعد اليسار هجوما مضادا، و بدأ في إنشاء حركته الخاصة لإخبار الرأي العام، في هجوم كبير ضد البورجوازية التي قوضت الحزب.

هكذا دخلت جيانغ كينغ الساحة السياسية إلى جانب ماو، و بدأت تنشر مقالات في الصحف موجهة للنساء و الشباب، و استأنفت عملها الجماهيري سنة 1963، كعضو في حركة التعليم الاشتراكي، و هي مبادرة من ماو، من أجل التصدي لرد الفعل و الممارسات و الإيديولوجية البورجوازية، و قد كانت هذه المعركة مقدمة للثورة الثقافية التي ستشهدها البلاد فيما بعد.

طلب ماو من الأطر و الفنانين و الكتاب في المدينة الذهاب إلى الريف لتعليم الجماهير، وفي سنة 1962، في الجلسة العامة العاشرة للاجتماع الثامن للجنة المركزية، تم إقرار، بعد الكثير من المعارضة، بالسماح لجيانغ كينغ بمواجهة السيطرة التحريفية على لجنة بلدية بيكين، التي يرأسها عمدة هذه المدينة و عضو المكتب السياسي بينغ تشن (الذي منه جاء مفهوم السياسة الوطنية للثقافة). و قد كان أعضاء هذه اللجنة يراقبون القسم الأعظم من الصحافة الصينية، وكذلك الوسط المسرحي و الأدبي في الصين، لقد كانت مدرستهم الفكرية، المؤثرة جدا في الأوساط الفكرية، معارضة تماما لمذهب ماو، الذي دعا إلى ثورة عميقة في المجتمع، أما من جهة التحريفيين، فقد كانوا متشبثين بالحفاظ على احتكارهم الإيديولوجي للثقافة، ففي وسطهم وجد الكتاب البورجوازيون مثل **ووهان** ملجأهم، .فقد كان هذا الكاتب المسرحي، مؤلف مسرحية **هاي جوي**- الذي طرد من منصبه- نشر في سنة 1961 مسرحيته، التي كانت احتجاجا على قرار ماو بإقالة **دنغ ته هوي** وزير الدفاع حتى سنة 1959، و التي رمز لها بتشبيه رقيق، بعصر سلالة **مينغ**. و كان أعضاء لجنة بكين أيضا، من رعاة العمود الصحفي: "ثلاث عائلات قروية"، الذين هاجموا ماو و خط ماو بطريقة ساخرة.

من ناحية أخرى، إذا كان الثوريون، من سوء حظهم قد تعرضوا بالنقد للكتابات و الإنتاجات المسرحية، برعاية هذه البورجوازية الجديدة، و التي تعمل بنشاط من أجل التأثير على الحياة الفكرية و الثقافية بشكل عام، مع تحيزها للحفاظ على الطبقات الاجتماعية، فإن ملاحظاتهم كان ينظر إليها في الحين بعدم المصداقية عن طريق نقد ذاتي مثير للضحك، أو عن طريق مقالات مضادة تصر على النقاط الثانوية، و قد تفاقمت هذه المعضلة، من واقع أن اليسار لم يستطع نشر نصوصه، و كان عليه الاعتماد بقسط ما، على الجيش الذي كان تحت قيادة **لين بياو**. بعد ذلك بمدة قليلة، في أواخر 1966، لم يستطع ماو أن يقاوم وصف وزارة الدعاية المركزية بأنها **"قصر أمير الجحيم"** : **"يجب الإطاحة به! إن الطغاة لهم مصلحة في إبقاء الناس في الجهل، بينما من واجبنا أن نفتح أعينه".**

لقد حاولت جيانغ كينغ عبثا نشر انتقادات هاي جوي، الذي طرد من منصبه في بكين، لكن في نوبة من الغضب حاصرتهم الزمرة المحلية في كل مكان.

وكملجإ أخير، و هو يعمل بكل اطمئنان تحت إشراف جيانغ كينغ و ماو، كتب المؤلف الشاب ياوو وين – يوان، الذي تميز خلال الحركة المناهضة للرجعية، التي أعقبت حملة "مائة زهرة"، انتقادا قاسيا لهذه القطعة المسرحية، لكنه لم يكن من الممكن نشرها في بداية الأمر إلا في شنغهاي، و ليس قبل نونبر 1965، و قد أعلن عن كونها إشارة لبداية الثورة الثقافية.

لقد حاولت زمرة كتاب بكين كثيرا الحد من الجدل الذي تلا ذلك، بتقديم البراهين على الفروقات الأكاديمية الدقيقة للتاريخ، بل ذهبت إلى حد النأي عن الكاتب (و المؤيد لرئيس بلدية بكين) ووهان بهدف الحفاظ على مواقفها.

**3) جينغ جينغ و "أوبرا بكين": من أجل اختراق البنية الفوقية**

كان مجال الفنون إلى حد كبير، خاضعا لسيطرة مجموعة من قادة الحزب الخبراء المزعومين في المجال، فسواء في المسرح أو الموسيقى، فقد دافعوا بكل عجرفة عن التوجه الإقطاعي و البورجوازي، و مع ذلك، فإن الأوبرا تعد أسوأ ماضي في هذا الاتجاه. إن هذه الهيمنة على قطاعات مهمة من البنية الفوقية من قبل نخبة بورجوازية جديدة مرتبطة بالتحريفيين من مستويات عليا في الحزب، كانت انعكاسا للتحول غير الكامل للقاعدة الاقتصادية للمجتمع، فقد كانت هذه الأخيرة لا تزال، حتى قبل الاشتراكية تحتفظ بأعداد هامة من الأعشاش الرأسمالية.

إن الحقيقة العميقة، التي ساهم ماو في إثرائها، هي الحاجة إلى القيام بثورة لاختراق البنية الفوقية في مجالات الأفكار و القيم و العادات و الثقافة، و إرسال الطبقتين، البروليتاريا و البورجوازية الجديدة للانخراط وجها لوجه في صراع من أجل إنهائه.

بعد عشر سنوات من السياسات البروليتارية، تم اتخاذ خطوات عملاقة لتحويل الصين شبه الإقطاعية شبه المستعمرة و المتخلفة، فقد شهدت الملكية الخاصة تحولا جوهريا، بتأميم الأراضي و تأميم الصناعة، فبعد أن تحررت الصين من قيود الهيمنة الأجنبية، أصبح الاقتصاد يعتمد منذ ذلك الوقت على حاجيات الجماهير و ليس على ما يمليه الامبرياليون، الذين سعوا فقط إلى ملإ خزائنهم، فقد تم كسر الحلقة المفرغة للفقر و الديون، في الوقت الذي تم فيه القضاء على المجاعة و الأمية إلى حد كبير. و بدأت النساء بالذهاب إلى المدرسة بأعداد أكبر، و القيام بدور نشيط في الإنتاج و في الحياة السياسية، و لكن في الوقت نفسه، تم منع التغييرات في العديد من القطاعات جزئيا أو كليا من طرف الخط التحريفي و ثقل اضطهاد الماضي.

كان هذا الواقع أكثر وضوحا عندما تم تفحص عن كثب **"الاختلافات الثلاثة الكبرى"**، بين المدينة و الريف، بين العمال و الفلاحين و بين العمل الفكري و العمل اليدوي.

في سنة 1964 وصف ماو وزارة الصحة العمومية باسم "وزارة الصحة للسادة الحضريين"، و في المصانع أمرت القيادة التحريفية العاملين بالحد من المناقشات السياسية إلى 30 دقيقة في اليوم حتى لا يتأخر الإنتاج. و كما كشفت واحدة من جوانب الاختراق، تحليل تشانغ تشون تشياو حول اليمين البورجوازي، ففي البادية كانت الملكية جماعية، و لكنها لم تكن ملكا لكل الناس، و قد سهلت هذه الحالة الميولات الرأسمالية، بالإضافة إلى ذلك، اختلفت جدا نوعية التربة بين الكومونات، مما نتج عنه فوائد ملموسة بالنسبة للبعض.

إن هذا التناقض بين الاشتراكية و بقايا شبه الإقطاع، بالإضافة إلى الرأسمالية الجديدة، كان واضحا أيضا في النضال الصعب من أجل تحرير النساء الصينيات، فعلى الرغم من أنهن يحتلن الآن وظائف في الإنتاج، و في المستويات الثانوية للحزب، فقد كان على النساء مواجهة الأحكام المسبقة الإقطاعية الثقيلة و الأدوار التقليدية التي فرضت عليها. هذه السلاسل الإيديولوجية لا يمكن أن تتعرض للاهتزاز إلا من خلال الذهاب بالمعركة إلى البنية الفوقية، لتحقيق تحول اشتراكي أكثر كمالا للقاعدة الاقتصادية.

لقد أثبت النضال، الذي تخلص من القيد على جبهة الثقافة مثالا على هذا الوضع، فقد أدى الخط البرجوازي إلى تقليص الصراع إلى مجرد صراع بين الفن "**ينظر إليه بشكل ضيق جدا وفقا لدرجة الإصلاح الاشتراكي**" و الفن الذي يمكن للمستأجرين البورجوازيين التعبير عنه، فقط من خلال "عبقرية" الإبداع.

في الواقع، فإن الصراع يركز على المشكلة الأساسية : معرفة ما إذا كان بإمكان البروليتاريا، نعم أو لا ، الاستيلاء على هذا المجال، و إحداث ثورة في البنية الفوقية، هل ستقوض المملكة الثقافية القاعدة الاشتراكية أم تخدمها.

لم يكن اليسار يستعد فقط لشن هجوم على الأفكار البورجوازية، و لكن أيضا و قبل كل شيء، ضد الأفكار و المعتقدات و الأعمال الثقافية، التي حافظت على الانقسامات البالية و الاضطهادية في المجتمع.

كانت أوبرا بكين القديمة، بحد ذاتها عبارة عن حصن إيديولوجي لطبقة الملاكين العقاريين و الرأسماليين، فقد تألفت قائمتها (الأوبرا) إلى حد كبير من أعمال تمجد الفضائل الكونفوشيوسية المتمثلة في الطاعة و الولاء.

و ما يمكن أن نخلص إليه بعد مرور عشر سنوات أنه "**كان اختيار أوبرا بكين، من أجل خرق أولي للثقافة، بمثابة مبادرة صحيحة للثورة الثقافية، لانتقاد معتقدات كونفوشيوس و منسيوس، و هذا سيساهم في تفكيك العقائد الروحية، التي استندت عليها الطبقات الرجعية لقرون لخلق جحيم على الأرض**".

انخرطت جيانغ كينغ في العديد من التحقيقات، و قامت بزيارة العديد من الفرق المسرحية، و التحدث مع الممثلين و حضور العروض، و الذهاب إلى الكواليس، و مشاهدة الأوبرا في جميع أنحاء البلاد، فجيانغ كينغ لا تهمل أي صغيرة عندما يتعلق الأمر بمواجهة الرجعية القديمة منها و الجديدة، إنها تلك النحلة النشطة التي تتنقل بين هنا و هناك متفحصة بعينها البصيرة، التي لا تخطئ الهدف.

كان إنتاج النصوص غزيرا، لحد أنه في غضون سنوات قليلة، تم إنتاج حوالي 37 نصا جديدا، و ظهرت أحدث المسرحيات و الأوبرات، بما فيها الأعمال النموذجية الأولى، ولإنتاج نصوص حديثة جيدة، طبقت المزج بين "ثلاثة في واحد" في ميدان الفنون، بإرسال أطر الحزب و كتاب المسرحيات للعيش وسط الفلاحين و الجنود و العمال، من جهة، من أجل فهم أفضل للتجربة التي ينبغي عليهم توضيحها من خلال أعمالهم، و من جهة ثانية، لبلترة الفنون ببلترة الثقافة و تثويرها. من جانبها، تقوم الجماهير الثورية بدراسة و نقد الإنتاجات بهدف تحسينها، فعلى سبيل المثال، حضرت جيانغ كينغ عرضا لأوبرا شعبية من هواي تشو سنة 1963، و اقترحت تكييفها مع أوبرا بكين، و على الأرصفة أصبحت واحدة من أولى المسرحيات منذ مجيء الاشتراكية، و في الأصل تم تأليف هذه الأوبرا بمساعدة عمال الشحن والتفريغ بمدينة شنغهاي، الذين كانوا متحمسين للغاية : "**في السابق كنا فقط رجال الشقاء، لم يكن لنا الحق في أن نكون جزءا من الجمهور**" .

لقد أثبت مسرح أوبرا بكين أنه حصن الخط التحريفي في الفنون، و قام كتابه المعينون على الفور بإجراء تعديلات على المخطوطة، محاولين تخفيف طابعه الأممي، و ترقية الشخصيات الثانوية إلى رتبة أدوار رئيسية.

كان عمال الشحن و التفريغ ساخطين : "**إن تاريخنا و تاريخ عائلاتنا هو أحد المعاناة المريرة ... عندما يتعلق الأمر بالقضية الثورية التي يقودها الحزب، فإننا نحن العمال أحياء أكثر من أي وقت مضى، مستعدون و مصممون. إن أوبراكم تظهرنا أغبياء و كسالى، أبدا لن تحصد مثل هذه الأوبرا أصواتنا !**

في شهر مارس 1965، أعادت جيانغ كينغ صياغة السيناريو و توزيع الأدوار، و أعادت صياغة قصة عمال الشحن و التفريغ طليعة شنغهاي، التي تكافح من أجل شحن السفينة بالحبوب، من أجل تقديم المساعدة لنضالات التحرر الوطني، في آسيا، في إفريقيا و أمريكا اللاتينية، و قد كان عليهم أن يواجهوا العمل التخريبي لعامل متخلف، الذي يتلقى الدعم من التحريفيين داخل الحزب.

قام التحريفيون الحقيقيون بالهجوم مرة أخرى، و وصفوا هذه النسخة بالفقر المسرحي، و احتجوا على الدور الهام الذي تلعبه سيدة في الحزب (الذي يقود عمال الشحن و التفريغ إلى كشف المؤامرة و رفع المرسى في الوقت المناسب للسفينة) الذي يسمونه غير واقعي، و حاولوا توقيف العروض، و تلا ذلك صراع عنيد، و قد ناشدت جيانغ كينغ الأممية أن تحفز الفرقة : **"إن الشعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم، تتوق لحضور أوبراتنا المبنية على موضوعات ثورية معاصرة، يجب أن يكون لدينا أعلى التطلعات، و أن نكون مصممين على تلبية حاجيات الشعب الصيني، و كذلك احتياجات الشعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم"** .

بعد سنتين، و بعد أن أشعلت نيران الثورة الثقافية المعركة بين الاتجاهين في الساحة السياسية، اكتملت الأوبرا و قدمت في حفل الذكرى السنوية الخامسة و العشرين لمنتدى يانان.

كما ساهمت جيانغ كينغ بنفس المستوى في صراع الخطوط، بانتقادها لمحتوى و اتجاه الأعمال الثقافية، مثيرة حاجة الفنانين إلى تشكيل وعيهم، و كذلك اختراق الحياة الحقيقية للجماهير.

و إذا كان صراع الخطوط يظهر حاسما في عملها، فقد كانت جيانغ كينغ تولي أيضا اهتماما دقيقا للشكل الفني، و كذلك للوحدة – الهامة جدا – بين المحتوى السياسي الثوري و التعبير الفني للأداء، لقد ذهبت بصفة شخصية إلى المسارح لتشجيع الرؤى المبتكرة، و لكن أيضا لمناقشة الفنانين حول التغييرات، التي يتعين القيام بها، سواء في تأويلهم أو حركاتهم، كما في الإضاءات و الأزياء و الموسيقى و الكوريغرافيا و الغناء، من أجل إعطاء بريق جديد للطبقة. لقد انتهت النغمات الحزينة والمصبغة بالنواح، التي ميزت الأوبرات البالية، فهم الآن يقومون بها وقوفا، محولين حزنهم إلى غضب، و بينما كانت النساء تبكين فقد أصبحن الآن يشرعن في الضحك بفرح وعزيمة، بدلا من تغطية أفواههن عندما يبتسمن كما كان من قبل، كما حلت قبضة النضال محل إشارة "الأصبع السحلية" الرقيقة، إشارة الصين الأرستقراطية.

هناك ملخص معمق من خلاصات أبحاث جيانغ كينغ تم بسطه في خطابها في مهرجان أوبرا بكين، الذي أقيم في صيف 1964، و الذي جمع 5000 من ممثلي شركات الأوبرا الإقليمية و المحلية، تحت المراقبة المعادية للهرمية الثقافية التحريفية. هناك، رأت النور أوبرات جديدة تم إنشاؤها، في خضم صراعات حادة داخل عالم الثقافة. و من بين أشياء أخرى، تم تقديم أعمال "هجمات على فوج النمر الأبيض" استحضارا للحرب الكورية، و "شاشيابانغ"، التي تؤكد على الاتحاد الوثيق بين الجيش و الفلاحين، (و قد تم تحويلها أيضا إلى سمفونية).

تم تبادل الكثير حول صراع الخطين ضد التحريفيين، الذين يعارضون بشدة سيرورة التحول هذه. إنها تجارب جديدة من المجتمع الاشتراكي ترى النور.

لم تترك جيانغ كينغ أي مجال للتحريفيين لكي تتسيد رؤاهم للفن خاصة، و الثقافة عموما، فخلال هذا الظهور الأول أمام العموم، سألت جيانغ جمعية "عالم الفن": **"من ينبغي لنا أن نخدم حفنة من الأفراد (الملاكون العقاريون، الفلاحون الأغنياء المعارضون للثورة، العناصر السيئة، المحرضون اليمينيون، و البورجوازيون**

**الأتباع) أو 600 مليون (عمال، فلاحون و جنود)؟ إن الحبوب التي نأكلها تأتي من عمل الفلاحين، ملابسنا و مساكننا هي من عمل العمال، و جيش التحرير الشعبي يؤمن دفاعنا في القواعد الأمامية، و نحن لا نذكرهم حتى على الخشبات. هل لي أن أسألكم، إلى أي طبقة تنحازون؟ و أين هو وعي الفنان هذا، الذي لا تكفون عن الحديث عنه؟ ".**

خلق شخصيات من الأبطال الثوريين، ذلك ما يجب أن يكون ذا الأولوية، حسب جيانغ كينغ، كان لابد من تشجيع المبدعين و القادة على إنتاج أوبرات تعكس حقا وجهة المادية التاريخية، و يمكن أن تضع الماضي في خدمة الحاضر، و قد أصرت على أهمية إنتاج قطع مسرحية جديدة، سواء عن طريق الإبداع، أو عن طريق اقتباسات المؤلفين.

أمام هذه الموجة الصاعدة التي لا يستطيعون تحديها بصراحة، فقد أعد الأعداء السياسيون لجيانغ كينغ (بدءا بأعداء ماو) وراء الكواليس خطة للتعامل مع هذه الموجة الصاعدة من الثقافة الجديدة و الفن الجديد، فعلى سبيل المثال، كان عليهم الرضوخ لعقد المهرجان، لكن في نفس الوقت حاولوا تخريب إعداد أوبرات تمت برمجتها، حتى أنهم تجرأوا على تغيير نص خطاب جيانغ قبل نشره، و لم تظهر النسخة الأصلية إلا بعد ثلاث سنوات أي سنة 1967، في حين أنه لأول مرة تم الاعتراف بالدور الكبير في تحول أوبرا بكين، و ذلك على نطاق واسع.

بعد فترة وجيزة واجهت جيانغ كينغ، بينغ تين، عمدة بكين، حول الحاجة إلى المساعدة في بلترة الفنون، و أعطت كمثال، العمل الذي كان قد سبق العمل به مع أعمال مثل باليه "الفتاة ذات الشعر الأبيض" في شنغهاي، و بالتالي، ألا يستطيع أن يأذن لها بالعمل في نفس الاتجاه في أوبرا بكين لإجراء مثل هذا الإصلاح؟ لقد كان رفض العمدة متغطرسا، إذ مزق المخطوطة التي أرادت أن يطلع عليها.

أما دينغ كسياو بينغ، المهتم أكثر بالسعي وراء الغرور و المال، فقد أظهر موقفا أكثر خشونة نحو إصلاح الأوبرا و اعترف قائلا: سأصوت بنعم بكلتا يدي، شريطة ألا أكون مجبرا على الحضور، و أعلن صديقه التحريفي تاوو تشو أنه يفضل اللعب ال ماه- جونغ مع دينغ، على أن يكون مجبرا على التصفيق للأوبرات الثورية!

مع تفاقم الوضع في بداية الثورة الثقافية، تظاهر هؤلاء القادة التحريفيون، في محاولة لإنقاذ موقعهم في السلطة بإحداث تصحيح، لكنهم بدأوا يتعثرون منذ الاستيلاء الأول على السلطة خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. لقد كان كشف الخدع و تعرية ميلهم للنظام القديم جزء فقط من المهام التي يجب إنجازها، لإعطاء أدوات السلطة لقوى فتية و جديدة، التي تتطلع إلى استبدال النظام القديم. يجب على الجماهير أن تمتلك الوسائل اللازمة للمشاركة الكاملة في خلق الأعمال الثورية، التي ستكون انعكاسا حقيقيا لمصالحها الطبقية البروليتارية. لقد كان هذا النضال مرتبطا تماما بما يجري في كل قطاع من قطاعات المجتمع، لتعزيز دكتاتورية البروليتاريا.

هذه المناوشات بين اتجاهين في حياة الفنون، لم تكن بدون الإعلان عن عواصف أخرى في الأفق، في حين أن ثقافة و جهاز الحزب بشكل عام، سيصبحان ساحة مهمة للصراع الطبقي في معركة الثورة الثقافية التي استمرت 10 سنوات.

**V - جيانغ كينغ قائدة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى**

**1) هزيمة التحريفيين تمر عبر الثورة الثقافية :**

على الرغم من أن الهجوم المضاد المرير لليسار الثوري، قد تم تجسيده لأول مرة في الفنون، في مسرحية "إقالة هاي جوي"، إلا أن الهدف في قلب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ظل هو السلطة السياسية في حد ذاتها.

هل ستواصل الصين مسيرتها الاشتراكية، و يتمكن شعبها من تحويل المجتمع من الأسفل إلى الأعلى، وصولا إلى تحقيق هدف إلغاء الطبقات و بناء المجتمع الشيوعي؟

إن السؤال الحاسم هو من سيفوز في النضال من أجل أخذ السلطة : هل هي البروليتاريا بقيادة الشيوعيين الثوريين في الحزب، من أجل ممارسة دكتاتوريتها في كل قطاع من قطاعات المجتمع، أو البورجوازية الجديدة التي تمكنت من تحصين مواقعها داخل الأجهزة القيادية للحزب و الدولة، و التي تشكلت قاعدتها الأساسية من العناصرالتي توقفت عن القيام بالثورة منذ مدة طويلة، و الذين أصبحوا يعارضون تقدم الثورة الاشتراكية و يعملون بضراوة إلى إعادة الصين إلى الطريق الرأسمالي.

لقد أدرك ماو بشكل مبكر خطورة التحريفية في الصين، لذلك لم يذخر وسعا في قيادة الكفاح، مستهدفا تقوية السلطة السياسية للبروليتاريا، من خلال استعارة الشكل الوحيد الممكن – مناشدة الجماهير و ربط ذلك بسياقها الدولي، المتمثل في استيلاء طغمة تحريفية على السلطة في الاتحاد السوفياتي بعد موت ستالين، و بذلك استخلص العبر من تلك الهزيمة التاريخية للبروليتاريا السوفياتية، و أدرك أن مواجهة التحريفية في الصين، و التي بنت أعشاشها داخل قيادات الحزب و الدولة، لا يمكن القضاء عليها إلا بالاعتماد على الجماهير و إقناعها بضرورة الإطاحة بالتحريفية و التحريفيين و ذلك ضمن مشروع استراتيجي واضح.

وبعد تجارب مريرة مع مجموعات العمل (المجموعات التي كانت مسؤولة عن الثورة الثقافية في بدايتها) سواء بقيادة بينغ شينغ، أو بقيادة ليو شاو شي و دينغ غسياو بينغ، و بعد صدور دورية اللجنة المركزية الشهيرة في ماي 1966، و انكشاف مجموعة العمل، بقيادة لي و دينغ، التي استغلت غياب ماو عن بكين لمدة 50 يوما، للقيام بأعمال مضادة للثورة الثقافية، تشكلت "مجموعة الثورة الثقافية" بقيادة تشن بوتا، و مشاركة أبرز قادة الثورة الثقافية فيها من قبيل جيانغ كينغ إلى جانب شانغ شون كياو، ياو وين يوان، وانغ هونغ وين.

لقد تحملت جيانغ كينغ التحديات و المسؤوليات التي أوكلت لها بكل شجاعة، في وقت عرفت فيه وضعية الثورة تصاعدا لصراع الخطوط، و لعبت جيانغ دورا حاسما في الهجوم على التيار التحريفي، و أصبحت تلعب دورا قياديا بارزا في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، هذا التمرد الثوري الصاخب للجماهير، الذي لم يعرف له التاريخ نظيرا.

لقد كان هذا أكبر إسهاماتها الثورية، و في نفس الوقت جر عليها دورها هذا نقمة و حقد الخونة من التحريفيين المحليين و عبر العالم، بالإضافة إلى كره البورجوازية العالمية و مثقفيها العضويين، و يقف وراء مواقفهم الكريهة، تلك الخطيئة التي ارتكبتها جيانغ حسب زعمهم، و المتمثلة في دورها في مساعدة الجماهير الثائرة في تعزيز سيطرتها على السلطة السياسية الثورية، و ارتباطها الحميم بانتفاضة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

كانت تتمثل أولى المهام، التي أوكلت لجيانغ كينغ كعضوة في لجنة إعداد وثائق الثورة الثقافية، في كتابة نشرة لمواجهة الخط التحريفي ل بينغ شن (عمدة بكين آنذاك)، ضد تقريره الصادر في فبراير 1966 حول الثقافة، والذي سعى إلى نزع فتيل الثورة الثقافية، و إزاغتها عن سكتها.

بعد صدور دورية ماي 1966، ذلك النص الذي راجعه ماو تسي تونغ عدة مرات، كما أدلت بذلك جيانخ كينغ، حيث قام ماو تسي تونغ بتسمية التحريفيين ب **"كل أولئك مثل خروتشوف، الذين يعششون بالقرب منا"**، أصبح صراع الخطين داخل الحزب معروفا لدى قواعده.

لقاء جيانج بالجيش الأحمر في عام 1967

**2) جيانغ كينغ و الشباب :**

بعد فترة وجيزة، مع ظهورأول داتزباو ماركسي – لينيني (ملصقات مكتوبة بخط كبير) في جامعة بكين في ماي 1966، و الذي دعمه ماو، كانت أبواب الثورة الثقافية مفتوحة على مصراعيها. و انخرطت جيانغ كينغ بسرعة، في حرارة النقاشات الدائرة في يوليوز 1969، فكانت تذهب بانتظام إلى جامعة بكين للتحدث إلى الطلاب، و الاستماع إلى النقاش الذي يخاض داخلها، و اكتشفت على الفور، الدور المعادي للثورة ل"فرق العمل" (هي المجموعات التي كانت آنذاك مسؤولة على الثورة الثقافية، و التي كان يتحكم فيها التحريفيون) التي كانت تخنق تمرد الطلاب و الأساتذة الشباب. و في نهاية شهر يوليوز قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حل "فرق العمل"، التي كان يرسلها ليو شاو شي و دينغ غسياو بينغ للجامعة لخلق التشويش على الخط المركزي للحزب فيما يخص الثورة الثقافية.

و من المعلوم، أن ماو تسي تونغ تغيب عن بكين لمدة خمسين يوما، و هي الفترة ذاتها، التي استغلها التحريفيون، من خلال حملات الإرهاب الأبيض و التطويق لتحويل الجماهير عن النضال، من أجل استعادة النظام لصالح القيادة التحريفية، لكن هذه الفترة لم تدم طويلا.

هكذا، و بعدما تسنت لهم فرصة ارتكاب أخطاء جسيمة، و بعدما انكشفوا أمام الجماهير، أصبح هؤلاء القادة "الذين يبجلون وقاحة البورجوازية، و ينتقصون من أخلاق البروليتاريا"، هدفا لسهام ماو تسي تونغ، الذي أصدر أول دتزيباو شهيرله، تحت عنوان :

**"لنطلق النار على المقر العام!"**

مما أشعل نيران التمرد فانتشرت على نطاق واسع، مستهدفة بشكل خاص، أولئك الذين يتبعون طريق الخط الرأسمالي من القيادة العليا للحزب.

و من بين الأشياء التي سيتم تذكرها دائما خلال هذه المرحلة عن جيانغ كينغ أنها مثل ماو، كانت مرتبطة بشدة بالشباب، لقد حازت خلال هذه الفترة على سلطة سياسية هامة، و لعبت دورا مختلفا عن دور ماو، إذ كانت

تذهب إلى عين المكان، و في بعض الأحيان تدخل المعارك بجرأة و قوة لدعم تمرد الشباب، كما كانت تحمل لهم تحيات ماو، رئيس الحزب، و تشجيعاته للشباب الثائر، وقد حدث ذلك في ذروة صراع الخطوط المحتدم.

من بين البرامج المتنافسة و المعقدة في بعض الأحيان، التي كانت تطرح في النقاشات، ساعدت جيانغ الشباب على التمييز بين خيوط الصراع الطبقي داخل المجتمع، و المرتبطة بالصراع داخل الحزب نفسه. وجنبا إلى جنب مع أعضاء آخرين في مجموعة الثورة الثقافية، التقت وفودا من الطلاب و العمال و الجنود و الفلاحين و المعلمين و الفنانين، و ذلك لإيجاد الحلول للأسئلة الحارقة، التي تطرح في مجرى الثورة الثقافية، بما فيها المناهج التي يجب استعمالها، و من يجب استهدافه، و كيفية مواجهة الانقسامات و الفصائل، و كيف يمكن، و في كلمة واحدة **"ترسيم الحدود بين العدو و أنفسنا"** كما قالت مرارا، و لكن في نفس الوقت، توحيد الجماهير و تشكيل تحالفات من أجل الدفع بالثورة.

لنأخذ مثالا عن الشباب و الطلاب، فالدعوة إلى انتقاد شخص بشدة ينتمي إلى عائلة مميزة أو محافظة، هي دعوة يمكن أن تبدو أنها على اليسار، لكنها في الحقيقة هي يمينية بالأساس، تسببت في كثير من الالتباس في بداية الحركة.

لقد أقنعت جيانغ الشباب بتغيير شعارهم **"بطل يلد بطلا، و ابن رجعي هو بيضة فاسدة"** بشعار

**"إذا كان الآباء ثوريون فإن أبناءهم يجب عليهم أن يسلكوا نفس الطريق، و إذا كان الآباء رجعيين فإن أبناءهم يجب أن يتمردوا"**.

في شهر غشت – شتنبر 1966، دخلت الطبقة العاملة الصينية على خط الثورة الثقافية بمساعدة الحرس الأحمر (جماعات من الشباب الثوري التحقت بالمعامل في شنغهاي و مدن أخرى) و برز للعيان وانغ هونغ وين، القائد البروليتاري العظيم (أحد القادة الأربع للثورة الثقافية)، و خلال هذه الفترة بدأت جيانغ في التحدث أمام الجمهور مركزة بصفة أساسية على التجمعات الشبابية الضخمة، للمشاركة في هذه اللحظة التاريخية.

لقد أصبحت جيانغ كينغ مشهورة بسرعة، بقبعتها و بذلتها العسكرية، و ظهرت في سبعة من ثمانية استقبالات نظمها ماو تسي تونغ للحرس الأحمر. كما ألقت كلمة أمام أساتذة الجامعات و المدارس الابتدائية، و أمام الفنانين و المخرجين السينمائيين، و أمام 100 ألف من جيش التحرير الشعبي، الذين جاؤوا لدعم و تأطير ملايين الشباب الذين تجمعوا في بكين خلال شهري أكتوبر و نونبر 1966، و كثيرا منهم جاء سيرا على الأقدام من مختلف مناطق الصين.

طوال الخريف، أصبحت جيانغ تشرف بشكل مباشر على العديد من العروض الفنية للأوبرا النموذجية للحرس الأحمر، وفي نهاية شهر نونبر 1966 ألقت خطابا هاما أمام 20 ألف عامل، حول الثورة الثقافية في الميدان الأدبي و الفني، و الصراع الطبقي القاسي الدائر داخل أوبرا بكين نفسها، و أيضا داخل جبهات فنية أخرى.

في كلمة لها أمام الحرس الأحمر، حثت جيانغ على إزاحة أنصار الطريق الرأسمالي داخل الحزب، و القضاء على الرجعية في المجالات الأربعة، التي هي الإيديولوجيا، الثقافة، العادات و التقاليد، و تحثهم على مواصلة سيرورة الصراع – النقد – التحول، كما هو مطلوب في وثيقة المركز العام الثوري، و تعني وثيقة 16 نقطة (قرار اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الثورة الثقافية)، و التي تعد الوثيقة الرئيسية للثورة الثقافية، و قالت لهم **"أنا متأكدة بأنكم ستقومون بعمل جيد"**.

بالنسبة للثوار، لم تكن المهمة فقط تصعيد النضال ضد اليمين، و التحرك نحو النصر، إنما في سيرورة ذلك، يتم العمل على تقوية اليسار الثوري و إعادة مد دم ثوري جديد، و ربط القادة الجدد بصفوفهم.

و تقول جيانغ مخاطبة إياهم :

**"أسألكم : إذا لم يتحد اليسار و يزيد من قوته، هل يستطيع القضاء عليهم؟**

**كان الرد الساحق من طرف شباب الحرس الأحمر" لا! "**

في يناير 1967، عندما انضمت وفود العمال و الفلاحين إلى وفود الطلاب و الشباب، للالتقاء في العاصمة من أجل تبادل تجاربهم الثورية، توجهت جيانغ بخطابها إلى قادة شباب الحرس الأحمر، الذين كانوا يضطلعون بمهمة السيطرة على الحشد عند مغادرته، المهمة التي تبث تعقدها، لأنها تتطلب في نفس الوقت درجة عالية من الوعي السياسي من جانب الشباب لاحتواء حماسهم السياسي، و مع أولئك الذين هم في الحقيقة جاؤوا إلى العاصمة، بحثا عن ثورة، و مناقشتهم لإقناعهم بالذهاب إلى المناطق الريفية لنشر الثورة. لقد كان العدد الهائل من الناس قد أصبح عبئا على موارد المدينة، و كان يجب السيطرة على هذا الوضع بشكل صحيح ( و تجدر الإشارة إلى أنه إلى جانب هذا العبئ، انضاف إلى ذلك موقف السلطات المحلية في المناطق، حيث كان يحضى بعض التحريفيين بنفوذ كبير و الذين أثار المتمردون أعصابهم، فسهلوا لهم السفر إلى بكين، من خلال الزيادة في الأجور و توفير تذاكر السفر بالمجان، لكي يذهبوا إلى التعريف بمطالبهم في "مكان آخر").

و أمام هذا الوضع، الذي أراد به التحريفيون خلق الفوضى و قلب الأوضاع لصالحهم، أوضحت جيانغ كينغ للحرس الأحمر أنه :

**"إذا جاء أشخاص من الخارج إلى بكين، رغبة في الاستيلاء على السلطة، فيجب أن نعبئهم للعودة إلى ديارهم، مع نفس الرغبة في الاستيلاء على السلطة"**.

كان التحريفيون يزرعون كل الفخاخ الممكنة لكي يكن طريق جيانغ صعبا، فخلال لقاءهم ب "مجموعة الثورة الثقافية" في نهاية 1966، ندد متحدثون باسم مجموعة متمردة من العمال بنظام العمل التعاقدي، فقد أوضحوا أن هذا النظام يزرع الانقسام بين العمال، و يشجعهم على الذهاب في الطريق التحريفي، مما يمهد الطريق لإحياء الرأسمالية و خنق كل نضالية.

و حسب العمال، تم إنشاء هذا النظام، بعد أن نشر ليو شاو شي تقريرا عقب تفتيش قام به في مناطق مختلفة من مقاطعة هوبي سنة 1964. كما وصفوا جهود التحريفيين من أجل إنشاء العمل التعاقدي، لتكسير إرادة المقاومة عند العمال النظاميين، و قد حذرتهم جيانغ من الوقوع في فخ التحريفيين قائلة :

**"ما تريدونه واضح : أنتم تريدون الثورة"**، و طالبت وزارة العدل و أمين اتحاد النقابات بمقابلة العمال الغاضبين على الفور، و عندما طلب هؤلاء من أولئك في ماذا يقضون يومهم، أجاب التحريفيون : **"مسؤوليتنا هي تربية العمال و تنظيمهم"**، استشاطت جيانغ غضبا و أجابت :

**"أنتم تعملون من أجلهم، لا تقدمون أي تقرير للجنة المركزية قبل أن تحلو المشاكل، ليست لديكم إذن أية صفة شيوعي؟ إن العمال المتعاقدين هم أيضا بروليتاريون و ثوريون، و أنتم، الشخصيات الوزارية البارزة، كيف تعاملتم مع العمال؟ إذا كان الأمر سيستمر بهذه الطريقة، فما هو المستقبل الذي سيكون أمام العمال؟"**.

بعد ذلك، احتل العمال المتمردون المقرات العامة للنقابات، و أغلقوا مكاتب وزارة العدل و مسؤولي توزيع العمل في جميع أنحاء البلاد.

اقترحت جيانغ كينغ تجمعا كبيرا للاتهامات و النقد و الفصل، و بلورة تعميم (دورية) من طرف "مجموعة الثورة الثقافية"، يعلن أن العمال المتعاقدين و المؤقتين، يجب أن يكون لهم الحق في المشاركة في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، و أن من تم فصلهم لأنهم شاركوا فيها، يجب إعادة دمجهم مع تعويضهم.

**3) حركة الاستيلاء على السلطة، و استمرار سيرورة نضال – نقد – تحويل :**

على غرار مثال "عاصفة يناير" في شنغهاي سنة 1967، التي أدت إلى تشكيل كومونة باريس الشهيرة، عرفت أنحاء البلاد حركة ترمي إلى انتزاع السلطة السياسية المحلية من مؤيدي طريق الرأسمالية، و حتى تقوم بتنظيم أجهزة قيادية جديدة، فإن جيانغ كينغ، التي تؤيد الحركة بحماس، عممت هذه التجربة الجديدة كل الجدة و المكتسبة من طرف البروليتاريا.

و لتشكيل جنين مراكز السلطة المعروفة باسم "اللجان الثورية الثلاثية" تشكلت السلطة الثورية الجديدة على أساس "اتحاد ثلاثي"، يضم أطرا ثورية للحزب و ممثلين ثوريين عن الجيش الشعبي للتحرير و ممثلي الجماهير الثورية.

خلال هذه الفترة من الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، تمثل دور جيانغ أساسا كقائدة، في نشر المفاهيم الرئيسية، التي طورها ماو و "مجموعة الثورة الثقافية"، فيما يتعلق بتكوين تحالفات جديدة، و لجان ثورية جديدة، من أجل الاستيلاء على السلطة، و استمرار سيرورة، نضال – نقد – تحويل.

بعد الإطاحة بأكبر معقل للسلطة، الذي جسدته لجنة بلدية بكين، المرتبطة ارتباطا وثيقا بقسم الدعاية السابق للجنة المركزية و وزارة الثقافة السابقة، ترأست جيانغ الاحتفال بتشكيل اللجنة الثورية لبكين، و هناك، أعلنت أن زعماء زمرة بكين، الذين تولوا المنصب وراء الكواليس كانوا **"حفنة من كبار الشخصيات في الحزب، الذين اختاروا الطريق الرأسمالية، و طوال 17 سنة، و باستمرار عنيد، وضعوا قدما إلى الأمام خطا رجعيا بورجوازيا. لقد تطور الخط البروليتاري الثوري، الذي يمثله الرئيس ماو في النضال ضد هذا الخط الرجعي"**.

لذلك كان من الضروري مهاجمة كل تأثير هذا الخط، على الجبهات السياسية و الاقتصادية و الإيديولوجية و الثقافية، و استبداله باللافتة الحمراء لفكر ماو تسي تونغ.

لقد ربطت جيانغ كينغ التغيرات الضرورية، التي يتعين إنجازها في بكين بمهمة استكمال الثورة الثقافية، و قد توصلت إلى ضرورة إطلاق العنان لحركة جماهيرية، من أجل القدرة على مواصلة سيرورة النضال – النقد – الرفض، مع الحاجة إلى السير جنبا إلى جنب من أجل تشكيل تحالف من أجل الاستيلاء على السلطة.

و تقول جيانغ كينغ :

**"إن مهام النضال – النقد – الرفض و التحويل في مختلف المناطق، و كذلك إعمال النقد و الرفض مع مؤيدي الطريق الرأسمالي بين كبار أعضاء الحزب، ليست متبادلة حصريا، و من الممكن دمجها".**

و أوضحت جيانغ، أن كلا منهما (المهمتين) يمكن أن يقدم للآخر زخما كبيرا، لإنجاز واحد من أكبر و أعرق عرض و نقد أنصار الطريق الرأسمالي. و ذكرت الناس بأن هذا يتطلب دراسة جيدة لأعمال ماو، و كذلك إجراء تحقيق شامل. و تحدثت عن الحاجة إلى الاستمرار في نجاح النضال – النقد – الرفض و التحويل في جميع مستويات التنظيمات و الإدارات، لمواصلة الثورة و بناء الاشتراكية. **"إن هذه المهمة كبيرة و حاسمة لمئات السنين القادمة".**

في خطاب موجه لوفد مقاطعة آنهوي، التي كانت منقسمة جدا سياسيا، عملت جيانغ كينغ بقوة مع الفصيلين المتصارعين من أجل توحيدهما و تشكيل تحالف كبير ضد التحريفيين، حتى يمكن خلق لجن ثورية للاستيلاء على السلطة، عندها، فقط، كما قالت : **"يمكن أن يكون لدينا أناس لقيادتنا، و الثورة لا يمكن أن تستمر بدون قادة !"**، و حذرت ضد ريح الرجعية، التي كان هبوبها بالفعل مدمرا، إذ كان يهدف إلى حل جميع اللجان الثورية، التي أقيمت بموافقة اللجنة المركزية.

**"لذلك يجب أن نظل، تقول جيانغ، يقظين ضد هذا التهديد، بطبيعة الحال لا يمكن أن تحدث تحولات، لكن هذا لا يجب أن يخيفنا، فالتحولات على مستوى السلطة هي أشياء طبيعية، و أكثر من ذلك، فإن الوضع في جميع أنحاء البلاد غير متساو، و لكن عدم التساوي هو أيضا شيء طبيعي".**

**4) هناك شيئان يثيران البورجوازية : "الجماهير تصنع الثورة"، و "القادة الثوريون في السلطة، يدعمونهم و يوجهونهم"**

كان طريق الثورة شائكا، وكله تموجات و منعرجات، لقد نسبت البورجوازية عنف الثورة الثقافية كله، إلى الدعم النشيط و "الشخصي"، الذي قدمته جيانغ للجماهير الثورية، و هو أمر مألوف من طرفها، فإذا تم القيام بفحص دقيق لدورها، فإنه يتضح بشكل مفحم أنها ناضلت بشدة، من أجل الإبقاء على توجه ماو، الذي حسبه يمكن القضاء بدون عنف على القلة المناصرة للطريق الرأسمالي داخل الحزب.

هذا صحيح من الناحية الموضوعية، ما دامت قد كانت هناك ثورة داخل الثورة نفسها، أخذت المكان تحت دكتاتورية البروليتاريا، التي كانت مهمتها الرئيسية القضاء على أعداء الطبقة العاملة و الشعب، هذه الوضعية تتعارض تماما مع الوضع الحالي في الصين، حيث سيتعين تأسيس حزب شيوعي جديد لقيادة الجماهير، و الإطاحة بعنف بدكتاتورية البورجوازية التي تأسست هناك منذ 1976.

على الرغم من أن القمع المسلح لأنصار الرأسماليين لم يكن ضروريا، لأن البروليتاريا كانت على رأس السلطة، فإن ماو لم يخجل من حقيقة أن الجماهير بمجرد أن تكرس نفسها بالكامل للقيام بالثورة، و إحداث تغييرات قاطعة، فإن بعض الممارسات يمكن ألا تتم السيطرة عليها، لذلك لم يفاجأ برؤية ظهور بعض الخطوط المناهضة للحزب داخل الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، و التي غذت العنف، لتحويل الجماهير عن الصراع السياسي الرئيسي.

يقول ماو :

**"خلال هذه التحولات الهائلة، التي حدثت خلال العام الماضي، كان هناك في كثير من الأحيان اضطرابات، فالاضطرابات التي تحدث من مكان لآخر، ليست مرتبطة فيما بينها بالضرورة، علاوة على ذلك، فالنضال حتى، و إن كان عنيفا فهو جيد، فبمجرد ظهور التناقضات في وضح النهار، يصبح حلها أسهل. هذه الثورة الكبرى تجري بأقل الخسائر، و بأكبر قدر من الفوائد".**

في حرارة صيف عام 1966، عندما كانت الثورة الثقافية تأخذ انطلاقتها، ناضلت جيانغ كينغ ضد اتجاه اليسار المتطرف الراغب في مهاجمة الموالين للرأسمالية جسديا، و تجنب أصعب مهمة دعا إليها اليسار المرتبط بتقدم الصراع الإيديولوجي و السياسي.

تقول جيانغ :

**"إن النضال بواسطة العنف لا يمكن أن يصل إلا إلى الجلد و اللحم، في حين أن النضال عن طريق الديالكتيك يمكن أن يمس أعماق أرواحهم".**

من ناحية أخرى، كان التحول إلى الصراع العنيف عفويا، و عبر عن مدى حدة الصراع الطبقي، فالعمال انخرطوا في صراع لفظي، لكنهم خرجوا أيضا إلى الشوارع للاستيلاء على السلطة، و منذ سنة 1967، كانت اللجان البلدية، التي تشكلت بمبادرة منها، تسيطر على الأقل على ثماني مقاطعات مختلفة. و قد تم استدعاء الجيش أيضا لدعم العمال و الحرس الأحمر، خلال عمليات الاستيلاء هاته و مساعدتهم على الحفاظ على النظام، و في الوقت نفسه، في بعض الأحياء، دعت القوات اليمينية بشكل علني إلى العنف، من خلال تشويه بعض الشعارات، أو عن طريق تحريض الجماهير على تكريس هجماتها على أنصار الرأسمالية، الذين لا يشكلون قيمة مهمة، من أجل تحويل الانتباه عنهم، هم بالأساس.

فعلى سبيل المثال، تم وضع شعار "لنطرد المجموعة العسكرية الصغيرة"، الذي يشير إلى حفنة من كبار القادة الإصلاحيين، الذي أخذ حرفيا في بعض الأحياء، و تم تطبيقه في أي مكان نجح اليمين في استعماله، بما في ذلك للاستيلاء على أسلحة من القوات النظامية في بعض الأحيان.

هكذا لخصت جيانغ كينغ وجهة نظرها حول هذا الموضوع :

**"لا يجب أن ندع أنفسنا نقع في الفخ : إن الشعار مضلل.**

**ما دام الحزب و الحكومة و الجيش جميعهم تحت قيادة الحزب، فلا يمكن أن نفهم من هذا، أنه يجب فقط طرد هذه المجموعة الصغيرة، من أنصار الرأسمالية، و لا شيء أكثر من ذلك، سيكون الأمر غير عملي إذا تم التصرف بطريقة أخرى : هذا يعني أنه سيكون لدينا عناصر سيئة في كل مكان، و في كل منطقة عسكرية تقريبا، سيتم شن الحملة عليها، دون التمييز بين الجيد و السيء، فحتى إذا ارتكبت أقلية من الرفاق و عدد قليل من جيشنا أخطاء جسيمة، فلن يستحقوا أن يعاملوا بهذه الطريقة ".**

و تمضي جيانغ قائلة، أن الشباب بطبيعة الحال، لديهم حس العمل، و لكن من الضروري أيضا "تكوين العقول" لمواجهة المرحلة الأكثر صعوبة، نضال – نقد – تحويل.

يعجب الشباب جيدا السفر من أحد طرفي البلد إلى الطرف الآخر، لكنهم قد لا يعرفون الظروف الخاصة بكل مكان، و يرتكبون أخطاء، "**يجب عليكم أن تثقوا في جماهير المناطق، و لا يجب أن تقوموا بالأشياء، التي يمكن أن تقوم بها بنفسها، تماما كما لا يمكننا ان نقوم بالثورة مكانكم**".

ليس من البديهي دائما معرفة كيفية التعامل مع الطبيعة المتناقضة للعنف الناتج عن الحماس الثوري للجماهير، و صعوبة الموقف، لأنه لا يجب كبح اللحظة الثورية، الصحيحة و الضرورية لسيرورة تحويل المجتمع، لكي تمارس البروليتاريا دكتاتوريتها، بما في ذلك، عن طريق الاستيلاء الكامل على السلطة السياسية.

و إذا كانت هناك اضطرابات و تجاوزات في الثورة، الشيء الذي افترضه ماو، فمن الصحيح أيضا، بشكل موضوعي، التأكيد على أن معرفتها والتحكم فيها بشكل صحيح لا يمكن أن يكون دائما ممكنا، طالما أننا لا نستطيع أن نراها بشكل واضح، فقد يحدث، أنه في الوقت نفسه تستغل بعض القوى هذا الوضع لصالحها و لغايات انتهازية.

و حتى داخل الثورة الثقافية، التي ساهمت جيانغ في قيادتها، فإن بعض العناصر (مثل شن – بو- تا) اختارت استخدام القوة بشكل مفتوح، و قد احتذى بها الشعب، خاصة بعد استفزاز و تمرد وحدات عسكرية، التي دعمت اليمين في مدينة ووهان سنة 1967. هؤلاء القادة في مجموعة الثورة الثقافية، الذين تم تحديدهم فيما بعد كيساريين متطرفين، و حيث كان الهدف خلق الفوضى، و من تم الاستفادة منها، لم يكن من الممكن فصلهم إلا بعد بضع سنوات. أما بالنسبة لليمين، فقد نظم العنف هو أيضا بين قسم من الحرس الأحمر، الذي انقلب على مجموعة الثورة الثقافية.

من جهته، فإن شو وان لاي، كان لديه خط مرتبك، فعلى الرغم من تحالفه مع ماو و حضوره علنا في جناح اليسار، فقد لعب دورا مركزيا للغاية في هذا النقاش، و أصر دائما على استعادة النظام، و العودة إلى الهدوء، و تعامل معهم ك "فوضويين" أولئك الذين واصلوا الحرب الأهلية.

لقد دافعت جيانغ باستمرار عن فكرة وجوب مواجهة و إسقاط العدو بالوسائل الإيديولوجية و السياسية، لقد كان عليها في بعض الأحيان توجيه نداءات التعقل للجماهير الغاضبة، و في خطبها أبرزت كيفية طرد ليو شاو وشي من السلطة دون استخدام السلاح. من جهة أخرى، عندما تم نشر الأسلحة "من أجل الدفاع"، في بعض وحدات الحرس الأحمر، و كذلك أمام القوات المتمردة ضد قلعة اليمين داخل الجيش الشعبي للتحرير وافقت جيانغ على هذه الإشارة.

كان شعار جيانغ "**المهاجمة بالديالكتيك و الدفاع بالقوة**" لكنه كان صعبا تنفيذ هذا الشعار، لأنه تسبب في نوع من التشويش على خط تعيين الحدود بين طرفي هذا الشعار، أي الديالكتيك و القوة، لأن هذا يمكن أن يشجع على استخدام الأسلحة بين طرفين وسط الشعب، الشيء الذي لن يسهل القرارات، التي تنشأ داخل المنظمات الجماهيرية، فمن كان قادرا على معرفة أين ينتهي الدفاع بالضبط و أين يبدأ الهجوم؟

و بعد فترة وجيزة من عودة ماو إلى بكين، بعد زيارة عدة مناطق، تم إصدار تعميم يحظر أي امتلاك للأسلحة.

خلال الثورة الثقافية طورت جيانغ كينغ علاقة وثيقة مع الجماهير الثورية، التي كانت دائما تقدرها كزعيمة للحزب. فقد وصف عالم روسي يهتم بالحضارة الصينية، حضر كمراقب، في أحد الاجتماعات الحشد المفعم بالحيوية، الذي كان يصفق تصفيقا شديدا :

**"بعد خطب شن بو- تا و كونغ شنغ و ليهسويه – فنغ ... التي لم أتذكرها، ذلك لأن بلاغتهم لا تساوي شيئا، تأخذ جيانغ الكلمة بزيها العسكري الأخضر و قبعتها، و لم تتوقف عن الحركة فوق المنصة، حمس خطابها الحضور عندما قالت "إنكم الجيل الثوري الجديد"، أنتم الذين يجب أن تواصلوا الثورة، يجب أن تصلوا بها إلى أبعد مدى. نحن الجيل القديم، الذي يغادر، نغادر و نترك لكم تقاليدنا الثورية القديمة (...)، إن الرئيس ماو يسلم لكم الصين : إن الدولة ستكون بين أيديكم، إن مدرسة الثورة الثقافية مدرسة كبيرة!" كان التأثير قويا. و منذ أن غادر القادة، استمر اللقاء بدون توقف. حل المتحدثون الواحد تلو الآخر، و الجميع يتنافسون بحماس ...".**

كان هدف جيانغ كينغ دائما أن تقدم المثال، و من خلال المثال الذي قدمته، شجعت الآخرين على الجرأة : أن يجرؤوا على أن يكونوا مثلها، و أن يجرؤوا على بذل طاقتهم من أجل تحديد الخط السياسي لصالح البروليتاريا، و الاقتداء بها في رفض الخضوع لأهداف معادية للثورة. لقد حددت العدو بوضوح، بشكل يتم فيه التمييز بين المؤيدين لكبار الرأسماليين من جهة، و أولئك الذين، من جهة أخرى عانوا فقط من تأثيرهم، لأنهم كانوا ضعفاء إيديولوجيا و سهل التلاعب بهم. لقد كانت بارعة جدا في الثقة في الجماهير الثورية و احتقار العدو. لقد فعلت ذلك من خلال قيادة عملية و ملموسة، مساعدة الجماهير على حل شبكة التناقضات المعقدة و المتعددة، التي نشأت في صفوف الشعب، عندما كان يناضل من أجل انتزاع السلطة من أولئك الذين مهدوا الطريق للرأسمالية.

في حديثها إلى وفود من مختلف الفئات الاجتماعية، شددت جيانغ على أهمية تعزيز التصور الإيديولوجي للبروليتاريا، تشجيع النقد و النقد الذاتي بجرأة، و التصدي للأفكار المعارضة، و الحفاظ على موقف حازم في مواجهة الصعوبات، و حثت جيانغ الثوار القدامى على الحفاظ على شبابهم السياسي، و ترك أنفسهم يكتسبون حرارة الشباب، الذي كان يكسب أرضية وسط البروليتاريا. أما بالنسبة للشباب فتقول لهم أيضا بممارسة اعتدال حكيم في الكفاح، و التغلب على الحواجز العمرية و الخصائص الخارجية للأكبر سنا، من أجل فهم الخط السياسي بشكل أفضل و التصرف وفقا للخط الصحيح.

فعلى سبيل المثال، من أجل تعزيز تهيئة الظروف المواتية للاستيلاء على السلطة، و النضال، من بين أشياء أخرى ضد الفصائل، التي ظهرت في بعض الأماكن، لعبت مجموعة الثورة الثقافية دورا مهما في توحيد القادة أو مندوبي الفصائل المعارضة للتمييز بين الخلافات الرئيسية و الثانوية.

و على غرار ماو، (الذي قال إنه يمكن بناء تحالف كبير من خلال القضاء على الأنانية و الإخلاص للشعب، و كذلك من خلال تشجيع نضال صحي) كانت جيانغ كينغ تربط عن قرب مسألة المفاهيم المدافع عنها، بإمكانية الاتحاد لتشكيل تحالفات كبيرة، تقول جيانغ:

**"أيها الرفاق، إذا كنتم تعتقدون أن ما أقوله مفيد، فدعونا نغرسه، يجب أن نصبح ثوريين، يطبقون فكر ماو تسي تونغ، و ليس أعضاء في هذه المجموعة أو تلك. إن عقلية الفصيل هي سمة البورجوازية الصغيرة، إنها**

**عقلية الحصن و الجبل و المقاطعية، أو الفوضوية في أجلى صورها، إنه من المرغوب فيه أن نقوم جميعا بالنقد الذاتي، بهذه الطريقة سنتحدث بشكل صحيح و سنسعى إلى الاتفاق على القضايا الكبرى، مع الحفاظ على الفروق الدقيقة في القضايا الأقل أهمية. أن نتحد حول القضايا الرئيسية، فهكذا نقوم بالثورة، و هكذا ستنجح الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى (...) أن تكونوا مؤيدين للخط الثوري البروليتاري، بقيادة الرئيس ماو، أن تكونوا مؤيدين لخط أنصار الرأسمالية، فهذا يعني إما أنك على صواب بشكل قوي أو على خطأ بشكل قوي. من هنا إذا كنتم تناضلون ضد كبار الشخصيات في الحزب، الذين يسلكون طريق الرأسمالية (ضد آن هوي، ضد الزمرة الصغيرة التي يقودها لي ياوو هوا، الذي يتبع طريق الرأسمالية)، فهل هذا سبب لعدم أمكانية التوحيد أو عدم التوحيد؟ إذا كان الاتكال على مواقفكم الفصائلية، فأنا أقول أنكم تعملون لصالحكم و ليس لمصلحة الثورة، الشعب و البروليتاريا".**

**"يجب عليكم أولا أن تلزموا أنفسكم و مجموعتكم، إن كنتم تتضاربون أو تخوضون معارك مسلحة بينكم و سرقة أسلحتكم الخاصة، فلا يمكنكم الحفاظ على برودة أعصابكم للتمييز بين الخير و الشر".**

و قد تعرض ماو لهذه المسألة من زاوية أخرى، و هي القدرة على الاحتفاظ بالسلطة السياسية، عندما يتحدث عن الثورة الثقافية الجارية سنة 1967، فقد لخص فكره بالإعلان على أن المهمة الرئيسية هي انتزاع السلطة من أيدي الرأسماليين و المساندين لهم، لكنه يضيف :

**"إن هذه المهمة تتمثل في حل المشكل على مستوى المفاهيم : يجب إزالة جذور التحريفية"**، و إلا، كما يقول، كيف يمكن اعتبار الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى منتصرة؟

بمعنى آخر، فبدون سلطة سياسية، لن يحدث تحول اشتراكي، لكن دون تحول المفاهيم الإيديولوجية البورجوازية، فمن المستحيل الاحتفاظ بالسلطة بعد ذلك.

عندما يعلن ماو أن الطبقة العاملة يجب أن تقود في جميع المجالات، بما في ذلك مجالات الثقافة و البنية الفوقية، فإنه يتحدث بشكل خاص عن التعليم و الفنون، مع العلم أن البعض سيكون مستاء من أن المثقفين لم يتخلوا بعد عن تصوراتهم البورجوازية. **"عليكم أن تتفكروا فيما إذا كان كل مفهوم تدافعون عنه عتيق أم لا"**.

**VI - القطع مع الأفكار العتيقة و التأسيس لفكر بروليتاري ثوري**

**1) صراع بلا هوادة ضد التصور البورجوازي للعالم:**

كان مجال الثقافة، الذي واصلت فيه جيانغ كينغ ممارسة قيادتها فيه، ساحة معركة حقيقية، عكست مشكلة التصور البورجوازي للعالم، و هذا ما طرح مشاكل كثيرة للثوار، إذ كانت هناك حرب بلا هوادة بين خطين، ويجب أن ينتصر فيها الخط البروليتاري.

و قد تم إحراز تقدم كبير، و تحقيق انتصارات كبرى، تم انتزاعها بشكل مؤلم من البورجوازية، وذلك بفضل إنشاء فن بروليتاري جديد، و لكن في جميع المجالات الأخرى كان من الضروري خوض نضال بلا هوادة.

أشارت جيانغ كينغ، في إحدى المحاضرات، في منتدى بكين حول الأدب و الفن، في نونبر 1967، أن التفاوتات في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، في لجان الدعاية، و اللجن الثقافية كانت تعكس الصراع الطبقي، و تكون مفيدة للعمال و الفلاحين و الجنود.

في حديثها عن التحريفية ترى جينغ أنه ليس من السهل التغلب على الأنانية و التخلي عن التحريفية، ففي اقتراح قدمته إحدى المشاركات في أحد المنتديات، التي كانت تؤيد إرسال فرق صغيرة إلى الريف و المصانع، لجعل الإنتاجات الثقافية أكثر شعبية، أكدت جيانغ، على أنه من غير المجدي الذهاب إلى الريف و المصانع، إذا كان ذلك فيه تجنب لصراع الخطوط.

و في الوقت نفسه، و ردا على من أبدوا نفاذ الصبر، مدعين أنه لم يكن هناك ما يكفي من الأوبرات الجديدة المتداولة، ردت جيانغ على أن هذا الأمر مفهوم لأن "**هذه الأوبرات لا ينبغي أن تكون سيئة، و إلا فإن الناس سيستهينون بنا**". لذلك تدعو جيانغ جميع الفنانين إلى تنظيم أنفسهم، و يشمرون على ساعد الجد، من أجل الوصول إلى إنتاج مرغوب فيه، و إعادة تصميم القوالب الفنية القديمة.

مضت جيانغ نحو الدفاع عن ثمانية أعمال نماذج فنية، التي "**تم إبعادها عن خشبات و شاشات الأباطرة و الجنرالات، تماما كما كانت تستخدم لإبعاد البورجوازية**"، كما مدحت أولى الأعمال، التي قامت بإصلاح الباليه و السمفونيات، و رغم أنه كانت تشوبها عيوب أو نقائص "**فقد أحدثت تأثيرا كبيرا في جميع أنحاء البلاد**".

في سنوات 1963 و 1965 تم تحقيق اختراقات كبيرة في التحول الاشتراكي للفنون، و قد كانت جيان كينغ و مجموعة صغيرة من الرفاق على رأس هذه المعركة، التي هي في نفس الوقت صراع و نضال.

و مع ذلك، فطالما لم يشارك المجتمع بأكمله في النضال من أجل السلطة السياسية في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، فإن مشكل تشكيل فرق لتنفيذ هذا التحول بشكل جيد على نطاق واسع لا يمكن حله، و لن يكون أيضا من الممكن حل صعوبة توسيع الثقافة الثورية الجديدة، لتشمل أعمق، و أكبر عدد ممكن من الجماهير في الصين.

وفي سنة 1967، كانت هناك بداية تحول، حيث تم تصميم خطط، لإخراج عروض ثقافية نموذجية على الشاشة الكبيرة، مما يجعلها في متناول جميع الصينيين و الصينيات، لذلك تم القيام بعمل واسع النطاق للترويج لهذه الإنتاجات، إذ تم الاتصال بالوحدات الثقافية في جيش التحرير الشعبي و الاستعانة بعمل الفرق المتنقلة أو الطائرة (صيغ مبتكرة) والتي كانت تعرف انطلاقة كبيرة.

كانت جيانغ كينغ تتحدث في كثير من الأحيان، في لقاءات مع مجموعات من الفنانين و الكتاب خلال الثورة الثقافية، معلنة تحديها في أن يشاركوا مشاركة كاملة في المهام العامة للثورة، كما حثتهم على القيام بالثورة داخل وحداتهم. لكن يتضح أن الحزب حقا، و حتى صيف 1967، لم يكن قادرا على شن هجوم، و تطوير النقاش حول الثقافة بين الجماهير. لقد وقع صراع حاد بين الخطين.

بصفة عامة، فإن الأمر يتعلق بتحويل الفنون، و تعميم تجربة جيانغ كينغ الناجحة مع ثورة أوبرا بكين. و قد خرجت إلى النور العديد من المقالات، و المحاولات في الصحافة، و في أجهزة النشر النظرية، ثم نشر الحصيلة

الهامة لسنة 1966 حول منتدى الفنون و الثقافة وسط القوات المسلحة على الملأ، و نجد هناك بعض التعليقات من ماو عن هذه القضايا، و تم أيضا رفع نماذج الأوبرا الجديدة في الساحات.

و قد كان ماو، و غيره من القادة المهمين، من بين جمهور هذه العروض، و تشرفت جيانغ بترأس الاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة و العشرين لمنتدى يانان، حيث تم تقديم العديد من النماذج الفنية.

و منذ البداية حرص اليسار على المشاركة الكاملة لجيش التحرير الشعبي في المعركة الصاخبة من أجل الثورة الثقافية، و كان لهذا ميزة تعزيز الخط اليساري بين الجنود، و زيادة مستوى فهمهم السياسي و الإيديولوجي، و السماح لهم برؤية الصراع الطبقي بين الخطين، الذي كان يجري، ليس فقط في المجتمع، و لكن داخل الجيش أيضا.

و من بين المسؤوليات الأخرى، تم تعيين جيانغ كينغ مستشارة في الثقافة لجيش التحرير الشعبي في فبراير 1966، و مستشارة لمجموعة الثورة الثقافية، التي أقيمت في الجيش سنة بعد ذلك.

و تحت قيادة جيانغ كان يجري على الجبهة الثقافية، صراع مكثف لحل القضايا المتعلقة بالخط الصحيح للإنتاج الثقافي البروليتاري، و هكذا خرجت إنتاجات جديدة للوجود، و عقدت مؤتمرات حول الإبداع الأدبي، و تم إيلاء اهتمام خاص لتشكيل "جيش من النقاد الأدبيين و الفنيين"، و نحو نهاية سنوات الستينات، تم تحقيق حصاد الثمار خلال الثورة الثقافية بسهولة، و كذلك الاتجاه المطبوع بخط اليسار على الخصوص داخل جيش التحرير الشعبي. و بالفعل، بدأ الجنود المشاركة في هذه الثورة على مستوى نوعي مختلف، سواء في أنشطتهم السياسية أو الثقافية. إن توسع الأنشطة فتح الباب نحو دراسة السياسة حتى في الكتابة و الإنتاج، و لعب الكوميديا و الأوبرات، و تنظيم منتديات و مهرجانات الهواة في الوحدات المحلية لجيش التحرير الشعبي عبر الصين.

**2) صراع الخطوط يقطع مرحلة جديدة :**

لم تحقق جيانغ كينغ ذاتها حقا، كقيادية إلا في زمن الثورة الثقافية، رغم أنها شاركت في دجنبر 1964 في المؤتمر الوطني لنواب الشعب، كممثلة لمقاطعة مسقط رأسها، شانتونغ. فهذا الدور لم يمنح لها "بصفة رسمية" إلا في المؤتمر التاسع للحزب سنة 1969، عندما تم انتخابها لعضوية المكتب السياسي للجنة المركزية، و من تم جرتها مسؤولياتها أكثر فأكثر في النضالات السياسية في المراتب العليا للحزب. لقد ساهمت بشكل كبير في تقوية اليسار بفضل نضالاتها.

كانت الصين، في السنوات الأخيرة من الثورة الثقافية، مشغولة بتسريع التحول الاشتراكي، في الاقتصاد و الصحة و الفنون و الثقافة، و بالأخص، بمهاجمة نظام التعليم القديم، و كان يتم كل هذا عن طريق بناء و توحيد اللجان الثورية.

و قد تسببت هذه التغيرات في ضربات شديدة للأسس المادية و السياسية للرأسمالية، و سمحت للبروليتاريا بتوسيع نفوذها في مجالات جديدة.

كان هناك أيضا انعكاس عميق للتغيرات التي أخذت مكانها في علاقات الإنتاج، في قوالب جديدة، ناشرة إشعاع علاقات اجتماعية جديدة في جميع مجالات المجتمع، لكي يتم في الأخير إحالة علاقات الاستغلال و الاضطهاد إلى الظل، تلك العلاقات، التي ستنتهي الإنسانية إلى الإلقاء بها في أعماق الموسوعات، التي يكتسيها الغبار.

من بين الظواهر الجديدة، التي يمكن ملاحظتها، نشير من بينها إلى : العمال و الفلاحين و الجنود المسجلين في الجامعات، شباب مثقف، الذي انتقل إلى الريف، و كوادر الحزب، الذين شاركوا في أعمال الإنتاج، العمال الذين شاركوا في الإدارة و إعادة صياغة القواعد و القونين القديمة، إلى التغيرات في مجموعات الاتحاد الثلاثي، التي تم تنفيذها في جميع المجالات، بما فيها ما يتعلق بالابتكارات التكنولوجية في المصانع و المناطق الريفية، و كذلك الاختراقات العلمية بشكل عام، و الشعارات "الحمراء و الخبيرة" أو "السياسة في مركز قيادة المهارات المهنية"، التي عملت على دمج الأشخاص المسلحين بفهم سياسي صحيح و أولئك الذين لديهم معارف خاصة، و تم تشجيع النساء على شغل مناصب في الحزب و قيادة مجموعات الاتحاد الثلاثي، باعتبارهن من كبار السن، الذين جاؤوا من الجماهير، التي تربط الشباب بتجربتها الغنية، و كذلك تعزيز العمل الجماهيري بالعلم و التكنولوجيا، و أعمال تصلح كنموذج ثقافي، أعمال أصبحت ملكية للجماهير، و برز أدب ثوري في الشعر و الفن، و نظمت دراسة النظريات الماركسية على مستوى عالي، و أنشئت مستشفيات مجانية أو قريبة من ذلك في البوادي، حيث قام أطباء حفاة الأقدام، بعضهم من الفلاحين المدربين في مجال الطب، بتوفير العلاجات.

لا أحد كان يعارض ما كانوا يسمونه هذه "الأشياء الاشتراكية الجديدة"، التي كانت قد ظهرت في حركة الإطاحة باليمين. و قد تم استبدال العديد من ممثليهم الرئيسيين في المناصب العليا للحزب، و مع ذلك، فحتى البعض، مثل لين بياو انتهوا في آخر المطاف إلى تشويه هذه الابتكارات للثورة الثقافية.

منذ رسالة يوليوز 1966 إلى جيانغ كينغ، حذر ماو من "بعض أفكار أصدقائنا تزعجني بشدة" و هنا يشير إلى الطريقة، التي روج بها لين بياو لأفكار ماو، بمعنى، كما لو أن لهذه الأفكار قوة مقدسة. و كتب ماو لجيانغ "كل شيء مبالغ فيه. هذا يذكرنا بالغضب الشديد، الذي شعر به ماو في لازمة بياو الغبية في سنة 1959، عندما تمت ترقيته للتو إلى منصب وزير الدفاع، حيث قال : "واحدة فقط من جمل ماو تساوي عشرة آلاف جملة".

و قد قدمت جيانغ حصيلة قصيرة لما فعله لين بياو، فقد كتبت، أنه في الفترة، التي أعقبت الإطاحة بالموالين للرأسماليين، الذين كان على رأسهم ليوشا وشي، تم تعيين لين بياو خلفا لماو في مؤتمر الحزب التاسع، ثم حاول اغتصاب قيادة الحزب، أي قيادة الدولة، و قيادة الجيش، بالإضافة إلى نشر كتبه باسم ماو (عن طريق نشر أعمال الرئيس الراحل على نطاق واسع و تسميتها ب "فكر لين بياو" على حد تعبير جيانغ كينغ)، و قد خلق فوضى كبيرة، بإثارة معارك تشهر فيها الأسلحة، و تنفيذ عمليات نشر للقوة العسكرية غير ضرورية. و تخبرنا جيانغ كينغ أيضا عن أسلوب حياته المبذر و حماسته الكونفوشيوسية "ليصبح مسؤولا، وحتى يغتني".

عشيه إعداد محاكمة لين بياو من قبل اللجنة المركزية، الذي لعبت فيه جيانغ دورا حاسما، فإن هذه الحصيلة بالرغم من كونها ذات طابع سردي، فإنها مع ذلك لا تخلو من دلالة هذا الخائن كما تسميه، الذي كان قد اختبأ بالقرب من ماو، و ضربة خنجره العنيفة، للاستيلاء على السلطة، قد زعزعت عميقا الحزب و المجتمع، في الوقت الذي كانت فيه مكاسب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، و الوحدة الوطنية في طريقها إلى أن تتوطد. ناهيك عن كون هذه الحلقة، كانت جزءا من سياق تاريخي، حيث ينزل الاتحاد السوفياتي بثقل التهديد العسكري للصين.

من بين الصراعات العشر الكبرى بين الخطين داخل الحزب الشيوعي الصيني (حتى 1972) تخبرنا جيانغ كينغ أن الأخطر، هو ذلك الذي كان ضد لين بياو.

كان لين بياو مرتبطا ارتباطا وثيقا باليسار في منتصف الستينات، عندما كانت هناك حاجة إلى تحالف كبير، من أجل تكثيف الهجوم ضد اليمين، و خطر انتعاش الرأسمالية. في ذلك الوقت لعب لين بياو دورا مهما في تولي التربية الاشتراكية في صفوف الجيش، مصححا خط بينغ تي هواي (الذي دعا إلى تحديث الجيش من خلال الاعتماد على التكنولوجيا المتقدمة مثل التحريفيين السوفيات). لكن لين بياو و أتباعه انتهزوا الفرصة لتعزيز قاعدة دعم و تمجيد ماو، و حتى جيانغ إلى حد ما، بجعلهم أيقونات، يتطلعون إلى الإطاحة بها.

أراد لين بياو دعوة الجيش لاستعادة النظام، و في 1967-1968، كان قد ادعى أن الإنتاج يجب أن تكون له أسبقية على الصراع السياسي.

في مؤتمر الحزب التاسع سنة 1969، كان من الواضح أن برنامج لين بياو كان على اليمين، لقد كتب أن التناقض الرئيسي كان بين النظام الاشتراكي المتقدم و القوى المنتجة المتخلفة، و اعتبر أن الأشياء الاشتراكية الجديدة كانت عقبة أمام الجماهير، التي كانت بحاجة للحصول على "الغذاء و النفط".

وعلى الرغم من معارضته بشكل واضح لاستسلام شو أن لاي للامبرياليين الأمريكيين (بما أن لين فضل "الاشتراكيين السيئين" في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) فقد تقاسم نقطة مشتركة مع الأهداف الأكثر اعتدالا، و لكن يمينية بشكل أساسي، من خط تحديث شو، الذي استسلم أمام الامبريالية، كما قاوم إرادة ماو في إعادة الدور القائد للحزب و تقليص دور الجيش.

في ذلك الوقت، وقع صراع حاد على مستويات الحزب، فيما يتعلق بالوضع الدولي، ففي 1970، كان ماو متفقا مع شو (و لكن ليس لنفس الأسباب) على الانفتاح على الغرب، و بالتالي خلق تحالف بين اليسار و القوى الوسطية لشو (معظمهم من الحرس القديم للحزب) و التراتبية العسكرية (التسلسلات الهرمية العسكرية). تم تشكيل هذا التحالف لهزم خط لين بياو، و بعد هزيمته سياسيا، استمر هذا الأخير في طبخ ضربته، و ذهب أبعد من ذلك بالتخطيط لاغتيال ماو، و أخيرا اضطر لين إلى الفرار إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و قد مات في تحطم طائرة في سنة 1971. لقد كان يلوح بالعلم الأحمر، لكنه في الواقع كان يحارب الشيوعية، و قد سجلت جيانغ :

**"من ناحية كان علمه أحمرا، لكن من ناحية أخرى نرى جمجمة ميت مثبتة على عظام تتقاطع مع خلفية سوداء".**

كان لسقوط لين بياو تأثير في تعزيز مكانة شو إن لاي داخل الحزب، فقد فرض السياق أن يمتثل اليسار لمطالب شو، الذي دافع عن عودة اليمينيين، الذين تم فصلهم خلال الثورة الثقافية، لملإ المراكز الشاغرة، التي خلفها لين بياو و عشيرته، سواء داخل الجيش، أو داخل هيئات الحزب، و حتى دينغ كسياو بينغ تمت إعادة تأهيله. لكن إذا كان قد بدا أن اليمينيين ينتقدون أنفسهم علانية بشأن أخطائهم السياسية، فقد يكتسبون القوة في الظل.

كان اليسار في حاجة إلى الكشف عن جذور تحريفية لين بياو، و على الرغم من ضعفه من الناحية التنظيمية، إلا أنه كان حرا على المسرح السياسي، لتسليح الجماهير ، من أجل فهم الجوهر اليميني لخط بياو، و ثانيا، كشف اليسار الوجه المنافق و القناع اليساري المتطرف، الذي تلبس به. إن مثالية خطه، تلخص في "إن العباقرة هم من يصنعون التاريخ".

على الرغم من أن اليمين قد أصبح أقوى، فقد كان اليسار هو الذي انتصر في المؤتمر العاشر للحزب سنة 1973، مدعما الثورة الثقافية و الجبهات الجديدة للاشتراكية، و كذلك الحاجة إلى فهم الإنتاج لتعزيز الثورة.

تم انتخاب جيانغ كينغ مرة أخرى لعضوية المكتب السياسي، و لكن في اللجنة الدائمة لم يكن هناك سوى تشيانغ تشون تشياو ليرتبط بشكل كامل بمعسكر ماو.

تحدثت جيانغ كينغ عن الآثار الإيجابية للدراسة المنظمة بين الكوادر للتخلي عن خط لين بياو، و كذلك، التقدم في المستوى السياسي للجماهير، و قدرتهم الواعية على التصرف، من خلال تطبيق الماركسية –اللينينية و فكر ماو تسي تونغ.

في سنة 1974، بدأ اليسار حملة لانتقاد لين بياو و كونفوشيوس، و كانت الكونفوشيوسية تنصح بإعادة تأسيس الأنظمة القديمة، مثل العبودية و الاستسلام للمعتدين الأجانب، و الاستسلام الأعمى للجماهير، التي لم يكن من حقها إلا أن تخضع.

كانت هذه الحملة هجوما مباشرا موجها بشكل أساسي إلى دينغ كسياو بينغ، و ثانيا إلى شو إن لاي، حيث كان الوسط ، ذلك الطريق الذي يؤدي إلى صعود اليمين.

**VII- جيانغ كينغ و آخر المعارك الكبرى**

**1) استمرار المعركة الثقافية ضد التحريفيين**

مرة أخر تصطدم جيانغ كينغ بالتحريفيين حول الثقافة، فقد دعا هؤلاء إلى استنساخ نماذج الغرب بحجة الحداثة، لقد كانوا يسعون إلى تشويه سمعة الفن البروليتاري، مثل الأوبرات الثورية، و غيرها من أعمال الثورة الثقافية، فهنا حيث ساد هذا الخط، تلقى الفن الثوري ضربات شديدة.

تحت تأثير شو إن لاي، الذي أراد فتح أبواب الصين أمام الغرب، تمت دعوة العديد من الفرق الموسيقية الأجنبية إلى الصين، و لم تكن هذه سوى واحدة من الجبهات، التي كانت تدور حولها معركة شرسة، بين رئيس الوزراء و جيانغ كينغ، و كان ذلك يدخل في إطار هجوم عام متزايد من طرف اليمين، هجوم شمل معركة مهمة على الساحة الثقافية كما تم التعرض لذلك سابقا.

في الذكرى العاشرة لأوبرا بكين الثورية سنة 1974، كانت هناك مقالات و احتفالات، التي تدعم الثقافة الاشتراكية الجديدة، و انتقدت بصراحة أولئك و اللواتي و الذين اعتبروا و اعتبرن الأدوار البطولية للفلاحين فوق المنصات "غير لائقة"، و طالبوا (ن) بعودة الأمراء و الأباطرة، لكن في نفس الوقت، نشرت كتب جديدة شجعت التحول الاشتراكي في مختلف المجالات.

تمجد هذه الأعمال، من بين أشياء أخرى، الإنجازات في الإنتاج الزراعي و التطورات النموذجية، سواء في الصناعة أو في حقول النفط في تايشينغ، و توسعا كبيرا في عمل "الأطباء الحفاة".

يبدو أن ماو أيد عرض بعض الأفلام، التي عارضتها جيانغ كينغ، و هذا لا يمثل إلا أهمية بسيطة، لكن اليمين جعل منه قضية كبرى، عندما استولى على السلطة، و شرع في الاعتقال المتلاحق لقادة الثورة الثقافية الأربعة. هذه الاختلافات الصغيرة بين الرئيس ماو و جيانغ كينغ كان مبالغ فيها بشكل صارخ، و تم إثبات التهم فيما يتعلق بهذه الوقائع المبالغ فيها.

لقد شجبت جيانغ كينغ و اليسار عرض فيلم جديد لهوا كيو فينغ، و أجهضوا عرضه، مؤقتا على الأقل، فقد أخرج هذا الأخير إنتاجا سينمائيا تمت فيه الإشادة بالأساتذة الحكماء و مقارنتهم بالقائمين بأعمال البستنة ذوي الذوق الرقيق.

كان العمل على إنتاج أعمال غنية بالألوان، لكنها تتعارض مع عمل التعليم البروليتاري في المدارس، وهو أمر يتناقض بشكل ملحوظ مع فيلم "القطع مع الأفكار القديمة"، الذي تم إخراجه في نفس الفترة، من طرف الشباب أتباع الخط الثوري المنتمي إلى اليسار، هذا الفيلم الذي يبرز بشكل حي الصراعات الطبقية.

لقد كان إنتاجا سمعيا بصريا دافع عن الحق في الالتحاق بالمدرسة، في مجتمع بورجوازي، و ندد بالأساتذة التقليديين المتزمتين، الذين اقترحوا برنامجا تعليميا يتناسب مع احتياجات البورجوازية بدلا من احتياجات الجماهير، التي كانت تعمل من أجل تحويل المجتمع.

و على الرغم من أن الفيلم تم تصويره خلال فترة "القفزة الكبرى إلى الأمام"، إلا أن موضوعه مناسب تماما لسنوات السبعينات. لقد أصبح هذا الفيلم في الواقع من الكلاسيكيات على نطاق عالمي، فقد وضع الطلاب و قادة و قائدات الحزب حدا للغطرسة البورجوازية للأيام الخوالي، و جروا في أعقابهم الكثير من المترددين.

كان الصراع السياسي داخل الحزب ينمو أكثر من أي وقت مضى، فقد تشكل خطان و سطر طريقان، لقد استعاد الكثير من التحريفيين مواقع مهمة جدا.

في يناير 1975، في المؤتمر الوطني الرابع لنواب الشعب، و على الرغم من انتصار اليسار سياسيا، فإن المناصب الرئيسية، التي شغلها اليمين في المجال التنظيمي سمحت له باستعادة المبادرة.

تم إطلاق نداء من اليسار، فقد كان من الضروري إعطاء المزيد من القوة للجان الثورية، و هذا على جميع المستويات، و من جانبه، وضع شو إن لاي خطة لتحديث الصين، تضع لها سنة 2000 كهدف عام، و هذه الخطة تتطلب المساعدة من الامبريالية، و لا يمكن أن يؤدي إليها إلا إقامة علاقات رأسمالية، و الزيادة في الانقسامات بين الطبقات الاجتماعية، و كان مشروع هو كو فينغ، الذي يهدف إلى مكننة الزراعة مستوحى من نفس المبادئ اليمينية.

من جانبها، كانت جيانغ كينغ، التي تتابع عن كثب ما كان يتم تنفيذه، من قبل لواء تشاي الزراعي، و نعتت تقرير هوا ب"التحريفي" في المحاضرة حول دروس تشاي في أكتوبر 1975 . و تلا ذلك صراع محموم، فقد كان تقرير هوا جزءا من حركة يمينية، و لم يكن شيئا آخر أكثر من محاولة لتجاوز المسألة المركزية اليوم، بما فيها، ما إذا كانت الثورة ستدفع التنمية الشاملة للاقتصاد أم لا.

و قد أجاب ماو و قادة الثورة الثقافية الأربعة اليمين، بحملة لدراسة و تعزيز دكتاتورية البروليتاريا، وأشاروا إلى أنه على الرغم من أن الملكية، التي كانت تتطور، هي اشتراكية بشكل أساسي، إلا أنه لا تزال هناك العديد من بقايا الرأسمالية، التي يجب التغلب عليها مثل نظام السلع، سلاليم الرواتب المتدرجة و عدم المساواة المادية، و أن القانون البورجوازي - الامتيازات الاجتماعية و المادية، المبنية على التمييز بين قوة العمل للفرد بالمقارنة مع الآخر- لم يتم إلغاؤه بعد.

و قد امتد هذا الصراع بين خطين إلى مجال التعليم أيضا، فقد كان الأمر يقوم على تحديد ما إذا كان تثوير التعليم كابح للإنتاج أم لا. و قد كتب بعض الأساتذة من جامعة تسينهوا إلى ماو يشتكون من "انخفاض مستوى الأداء الأكاديمي" في إشارة إلى معايير التعليم البورجوازية.

لقد دعا ماو إلى نقاش جماهيري، و شارك في ذلك بنشاط، قادة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الأربعة، و قد لعب شانغ شون شياو و غيره دورا رئيسيا في ذلك. و الآن و قد أصبحت ملاحظته مشهورة، فقد تم إدراكها بلا شك خلال هذا الصراع، بينما كان يؤكد :

**"هل سنمنح المكانة الأولى للمثقفين و الأرستقراطيين ذوي الوعي و الثقافة البورجوازية، أم نعطي المكانة الأولى للعمال الواعين، لكن بدون ثقافة؟ من هذين التصورين، ما هو التصور، الذي ستختارون؟"**.

لكن اليمين شوه سؤاله، لذلك قيل أن جيانغ كانت تعني أن العمال ليسوا في حاجة إلى التثقيف، و بالتالي تحديد مفهوم الثقافة ليخدم البورجوازية. لقد أصبح أكثر حدة، لاسيما ضد دينغ كسياو بينغ، ممثل الحزب الأكثر يمينية داخله، فقد عبر عن اتجاهه السياسي بشكل لا يمكن إنكاره من خلال الشعار **"قط أسود، قط أبيض، لا يهم ما دام يصطاد الفئران"**. و قد تضمن برنامجه العام ملخص لوجهات نظره، دافع فيه عن "التوجيهات الثلاث (التي كان يراد منها بديلا و نفيا للصراع الطبقي البروليتاري) كخط رئيسي.

**2) في قلب الحزب الشيوعي تسكن البورجوازية**

بعد وفاة شو إن لاي في يناير 1976، كانت قدرة اليسار على إدانة دينغ بالكامل (بدون أن يكون هناك شو لحمايته) معززة بشكل كبير، و بالتالي كان اليسار قادرا على أخذ المبادرة. لكن من ناحية أخرى، لم تكن قوية بما يكفي لتعيين شانغ شون شياو كوزير، في الصراع من أجل الخلافة، بالإضافة إلى الدور المحوري، الذي لعبه شانغ شون شياو في الثورة الثقافية، كعضو في مجموعة الثورة الثقافية، و كذلك الدور، الذي لعبه في شنغهاي، حيث كنست الوجوه التحريفية القديمة، لقد أصبح قائدا ذا أهمية كبيرة في مجموع الحزب، و كان مؤلف مقالات مبتكرة من قبيل "الدكتاتورية الكاملة على البورجوازية". كما لعب أيضا دورا مهما في مجموعة دراسة حول الاقتصاد السياسي لشنغهاي، التي تدفقت عنها أعمال كتابية واسعة النطاق، التي تتعامل مع التحليل الطبقي في علاقته مع القوانين الاقتصادية في الاشتراكية و التناقضات التي تظهر فيها.

على الرغم من أن اليسار نجح في عرقلة مسيرة دينغ كسياو بينغ إلى الأمام، إلا أنه كان من الضروري تقديم تنازلات، و هو القبول بهوا كو فينغ كوزير، الذي لم يكن شخصية بارزة في اليمين، كما لم يكن له عدد كبير من الأتباع.

كانت جيانغ كينغ نشيطة جدا وسط هذا الصراع، فقد لعبت فيه دورا بارزا للغاية، مما أثار غضب دينغ كسياو، و قد كان اليمين هو المحرض على أعمال الشغب المعادية للثورة في ميدان تيانانمن في المحاولة الانقلابية في أبريل 1976

كان الهدف المزعوم، يتجه إلى مهاجمة ماو و سياساته بذريعة الاعتراف بخط تحديث شو إن لاي، لكن الشخص الذي أراد التحريفيون مهاجمته، كان هو جيانغ كينغ، من خلال ملصق كونفوشيوسي تافه، و هكذا أطلق على هذه الثورية "الامبراطورة دواجر"، و هو اسم لأحد الحكام الإقطاعيين، الذي قمع تمرد البوكسر سنة 1900، و الذي من وجهة نظر تاريخية، يشبه إلى حد كبير نظام دينغ كسياو بينغ، الذي ذبح الطلاب و العمال سنة 1989.

بعد هذا الحادث، الذي تم إيقافه بواسطة جيش التحرير الشعبي، و المليشيات الشعبية، زعم أن مهمة جيانغ كانت تتمثل في تنظيم سحب أكاليل الزهور التذكارية في ميدان تيانانمن، و هي مبادرة اعتبرت مسيئة لليمين، و تمت محاولة استخدامها ضد جيانغ كينغ، و أقيل دينغ من جميع مناصبه لتحريضه على أعمال الشغب هذه، في حين دعم ماو و اليسار الحملة من أجل دكتاتورية البروليتاريا. لقد كانت الرصاصة موجهة إلى دينغ، و الخط المنحرف لليمين.

و حول هذا، أدلى ماو بتعليقه الشهير:

**"تصنعون الثورة و لا تعرفون أين توجد البورجوازية : حسنا، إنها في قلب الحزب الشيوعي، إن أنصار الطريق الرأسمالي دائما في طريقهم إلى الرأسمالية".**

كان هذا، الجوهر نفسه لدعوى و هجوم اليسار، و كان يقودها ماو، و القادة الأربع للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، الذين شكلوا النواة السياسية، و الذين وجهوا ضربة قاضية إلى اليمين، و قد أثارت الحلقة مواجهات حامية بين المقرين العامين داخل الحزب، و غني عن القول أن التحريفيين فعلوا كل ما في وسعهم لمنع هذه الحملة و تطوير الحركة الجماهيرية .

**VIII - وفاة ماو و الانقلاب الرأسمالي**

**1) انقضاض التحريفيين على السلطة :**

في التاسع من شهر شتنبر في سنة 1976، يلفظ ماو أنفاسه الأخيرة، و يتنفس التحريفيون، أخيرا، الصعداء.

و في الوقت، الذي شاركت فيه الجماهير الصينية، و كذلك الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم الحزن على هذه الخسارة التي لا تقدر بثمن، كان التحريفيون الصينيون راضون عن أنفسهم، و يستعدون للانقضاض على السلطة، و على رأسهم الخليفة الرسمي هوا كو فينغ، و معهم ممن تمكن من اغتصاب السلطة، بما في ذلك جزء من القوات المسلحة. كان التحريفيون قادرون على إنجاح انقلاب بضعة أشهر بعد وفاة ماو، و قاموا على الفور باعتقال زعماء قادة الثورة الثقافية الأربعة، و كذلك أولئك اللذين كانوا يساندونهم. لقد انتهت دكتاتورية البروليتاريا في الصين فجأة، و كثير من أولئك و أولئك، كانوا يعرفون أن نهاية ثورة بدأت تدق على التو.

لم يتم خداع الكثير، و تكهنوا بأن التيار اليميني وراء الدعاية المزيفة، التي أمطرت على الصين.

كعادة التحريفيين البارعين في قلب الحقائق لكي تتمشى مع مصالحهم، فقد زعمت وسائل الإعلام، أن قادة الثورة الثقافية الأربعة، هم الذين يشكلون في الحقيقة "اليمين التحريفي"، و أنهم، خاصة فيما يتعلق بجيانغ كينغ من أتباع الكيومنتانغ، و أن القادة الأربعة، جيانغ كينغ، شانغ شون كياو، ياو ون يوان، وانغ هونغ وين، و العديد من رفاقهم هم أعداء ماو، و قد قيل أن ماو نفسه، كان سيوافق على هذا القمع للتغلب على الثورة المضادة.

في محاولة لتوطيد السلطة، كان اليمينيون في الدرك الأسفل من الدناءة، عندما أضافوا إلى ذلك حملة تشويه في حق القادة الأربعة، وأمطروهم بالعتاب، تحت ذريعة الحوادث البسيطة في الماضي، التي صبغوها بطلاء بنسب تليق بها حكاية رائعة.

إن كونفوشيوسيي العصر الحديث هؤلاء، يبذلون كل ما في وسعهم لتشديد قبضة سلاسل التقاليد بواسطة طاحونة من الشائعات، التي نشروها من أجل قضيتهم، فقد اختاروا مهاجمة المرأة جيانغ كينغ بأكبر ما يمكن ان تكون الشراسة، فلأنها زوجة ماو، فقد كان عليها أن تتحمل كل ما عانت منه الصين من المحن حتى الآن، لكن كان عليها أن تتحمل العبئ الخاص بجميع الأخطاء، التي ارتكبت خلال الثورة الثقافية.

**2) تزعمت مدينة شنغهاي مقاومة الشعب الصيني للانقلابيين**

لقد كانت هناك مقاومة بطرق عديدة، فقد كان من بين التهم الرئيسية خلال "المحاكمة" سنة 1980، أنه كانت هناك مؤامرة عسكرية في شنغهاي ردا على الانقلاب. كان لشانغ شون شياو، إلى جانب العديد من أتباعه تأثير كبير في هذه المدينة اكتسبه خلال النضال الحاد، و التحولات العميقة الناتجة عن الثورة الثقافية. لقد أصبحت شنغهاي مشهورة بسبب "عاصفة يناير"، عندما انضم ملايين العمال إلى الفلاحين و الطلاب، و غيرهم لاستعادة السلطة، التي اغتصبها التحريفيون في لجنة بلدية الحزب سنة 1967.

في غشت 1976، عندما أصبحت المواجهة داخل الحزب أكثر وضوحا، تم توزيع الأسلحة والذخيرة على مليشيات شنغهاي الشعبية، التي يبلغ قوامها مليون شخص، و التي تم إنشاؤها من قبل اللجنة البلدية الثورية قبل بضع سنوات.

و بمجرد ما تمت معرفة القبض على القادة الأربعة، تم تنفيذ خطة عمل مفصلة لسد بوابات المطارات، و إغلاق مكاتب الصحافة و الإذاعة، و بدأت الإضرابات و المظاهرات و تعبئة مليشيات النساء و الرجال للعمل بالاشتراك مع حامية قيادة شنغهاي.

لقد حشد زعيم شيوعي أكبر سنا، و هو تشو يونغ جيا، المقرب جدا من شانغ شون شياو، و زعيم لجنة تحرير حزب شنغهاي، الثوار لإعدادهم للعمل، داعين إلى "كومونة باريس جديدة". فقد قال أنه، إذا صمدنا فقط

لمدة أسبوع أو خمسة أيام أو ثلاثة، لا يهم ! الشيء المهم، هو السماح للعالم بمعرفة ما يحدث بالفعل هنا!". بعبارة أخرى، أن هذه الثورة ستوضح أن انقلابا تحريفيا قد حدث للتو، لكن هناك ثوار قاوموا ذلك بشراسة.

كانت معظم التقارير، التي تناولت الحدث، قد جاءت من هونغ كونغ، وكانت هناك بعض التقارير في الصحافة التحريفية نفسها، لكن تفاصيل هذا التمرد تبقى غير معروفة. من جهة أخرى عرفت الثورة بعض الإخفاقات، و تم استدعاء القادة على وجه التحديد إلى بكين، لقد اتضح أكثر فأكثر أن الثوار فقدوا مبادرة انتفاضة عظيمة.

في الواقع أرسل مدبرو الانقلاب قوات إلى المدينة لمنع أية انتفاضة، و مع ذلك، في 13 أكتوبر، كان هناك قتال مسلح في صفوف بعض وحدات المليشيا، و بعد أسبوع تم وضع القادة الأربعة في الظل، لكن بمجرد ما تمت معرفة اعتقالهم في شنغهاي في 10 أكتوبر، حتى تجمع الآلاف من الأشخاص يوميا في المقرات المركزية الاستراتيجية، لمعرفة ما الذي سيباشره القادة من تصرف، و قد قام زهو بمداخلة حكيمة، عندما تحدث عن الحاجة إلى عمل سريع و حاسم، و قد كان يحظى بدعم كبير من الجماهير، الدعم، الذي سيأتي، ليس فقط من شنغهاي، و لكن من جميع أنحاء البلاد.

لأسباب عديدة، لم تكن قيادة الحركة قادرة على التعبئة في الوقت المناسب، و مع ذلك، فقد سلطت الضوء على الموقف الحاسم و بدون تسوية، الذي اتخذته جيانغ كينغ و شينغ شون شياو لتحدي سلطة صانعي الانقلاب، و على الرغم من شاشة الذخان، التي خلقها هو، و التي حاولت الدفع بالاعتقاد بأنهم يتصرفون كما كان يريد ماو، ففي شوارع الصين كان من بين الجماهير من يؤدي التحية بالأصبع الخمسة من وراء ظهر مسؤولي السلطة. لا حاجة للكلام من أجل الفهم، لقد كان الثوريون : ماو و الأربعة هم الذين من تمت الإطاحة بهم.

و قد أفاد مراقب من الخارج، كان في شنغهاي آنذاك، أن جميع الأحاديث و التحركات كانت مراقبة عن كثب، و أن هناك توترات قوية للغاية بين الناس. لقد تمت إزالة الملصقات الرسمية للجنة المركزية، التي تدين قادة الثورة الثقافية الأربعة عن جدران محطة سكة حديد نانجينغ.

مما لا شك فيه، أنه لا يزال هناك العديد من القصص، التي يجب كشفها و اكتشافها، فقد مارس المناهضون للثورة قمعا وحشيا بسرعة و بشراسة، و قاموا باعتقال و سجن المتعاطفين من اليسار المعروفين، حيث أعدم العديد منهم.

كان هذا الانقلاب في الصين، بمثابة ضربة رهيبة للشعب الصيني و للشعوب في جميع أنحاء العالم، فقد كانت الصين الثورية منبعا مشرقا للتشجيع، بالنسبة لمآت الملايين من الناس، الذين يطمحون إلى التحرر من نير الاضطهاد، فخلال الستينات حذرت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بقيادة ماو و المقر العام وسط الحزب بالإطاحة بالسلطة البروليتارية و عودة الرأسمالية. و لمدة عشر سنوات طويلة تم إحراز تقدم هائل من قبل أولئك من الرجال و النساء، الذين صورهم التاريخ على أنهم ديس عليهم و استبعدوا. كم كانت البروليتاريا ستربح من الأرض خلال هذه الأحداث، فقد تم تطوير العلم الثوري، و تم إغناؤه على مستوى نوعي لم يتحقق لحد الآن.

قريبا سيتم الحديث عن الماركسية- الينينية فكر ماو، سترى النور أحزاب جديدة، ومنظمات جديدة في جميع أنحاء العالم مستلهمة من الثورة الصينية. و لرؤية هذا التحول الجذري بهذا الشكل، و العميق للمجتمع، في ظل حكم البروليتاريا ، و أن تحطمه حفنة من القادة التحريفيين البورجوازيين، الذين كانوا في وسط الحزب، و

الذين اغتصبوا سلطة الدولة، من أجل تحقيق أهدافهم الخاصة، فقد كان ذلك أمرا لا يطاق و عصي على الاستيعاب.

و لكن في الوقت نفسه، أعطى ماو في قلب الثورة الاشتراكية أسلحة جديدة للماركسيين – اللينينيين، الذين عليهم امتلاكها من أجل فهم طبيعة هذا الانقلاب، و اطلاعهم على كيفية مواصلة الطريق نحو الشيوعية. لم يكن هذا مهمة سهلة، فقد كان من الضروري عمل تركيب لطبيعة المجتمع الاشتراكي، و كذلك ما يتعلق بمساهمات ماو في العلم، و كذلك في الأحداث، التي وقعت في الصين بتحريك من المعارضة الشجاعة، التي اضطلعت بها جيانغ كينغ و شانغ شون شياو، و رفضت العديد من الأحزاب و المنظمات الماركسية – اللينينية التخلي عن الثورة في مواجهة خيانة التحريفيين الصينيين، و كذلك الهجوم الإيديولوجي المعادي للشيوعية، الذي وضعته البورجوازية موضع التنفيذ على التو.

بعد القبض على المقر العام الثوري، نفذ النظام عمليات تطهير واسعة النطاق في الحزب، و في 1977، بدأت عمليات الإعدام، و في أقل من عامين تم إلغاء اللجان الثورية، و رجعت الامتحانات من أجل الالتحاق بالجامعة، و رجع نظام الامتيازات (الذي استفاد منه إلى حد كبير أبناء قادة الحزب الجديد). و تم تعديل أو حظر إنتاج الأفلام السنيمائية و غيرها من الأعمال، التي تم إنتاجها تحت إشراف جيانغ كينغ، و أعاد التحريفيون تعميم النسخة القديمة من رقص الباليه للفتاة ذات الشعر الأبيض، و هي نسخة كانت تعرض قبل الثورة الثقافية، و شددوا على جانب الحب في الباليه، و تم إحياء قتل الأطفال الصغار من الإناث، و أصبح الأطفال الذكور مرة أخرى عنصرا ذا قيمة، و انطلقت النسور الأجنبية مثل كوكا كولا و ميسوبيشي، من أجل خلق أسواق جديدة في الصين، حيث يتلاءم الإنتاج مع حاجيات الامبريالية. و قد تم التشجيع على هذا الإنتاج بواسطة أنظمة المكافآت، و تزايدت التقسيمات في الأجور بسرعة، و باختصار، رجعت الرأسمالية الانتقامية إلى الساحة.

كل هذا تم في جو ثقيل من القمع، الجو الذي جر معه الخط "الرسمي" الجديد للحزب. لقد توقف صراع الخط السياسي، الذي قدم إلى الأمام بناء الاشتراكية، خلال أكثر من 20 سنة، بشكل مفاجئ.

**IX - جيانغ كينغ و التحريفيين : من يحاكم من ؟**

**"لنا الحق في الثورة! فليسقط التحريفيون من أمثال دينغ كسياو بينغ! أنا مستعدة للموت"**

(جيانغ كينغ)

**"لنا الحق في أن نثور، القيام بالثورة ليس جريمة، اقصفوا المقر العام"**

(جيانغ كينغ)

**"فخر كبير أن يقطع رأسك على أن تتنازل للتحريفيين"**

(جيانغ كينغ)

**"ساعدوا جيانغ كينغ على التلويح بالعلم الأحمر"**

(من رسالة لماو إلى زوجته قبل وفاته)

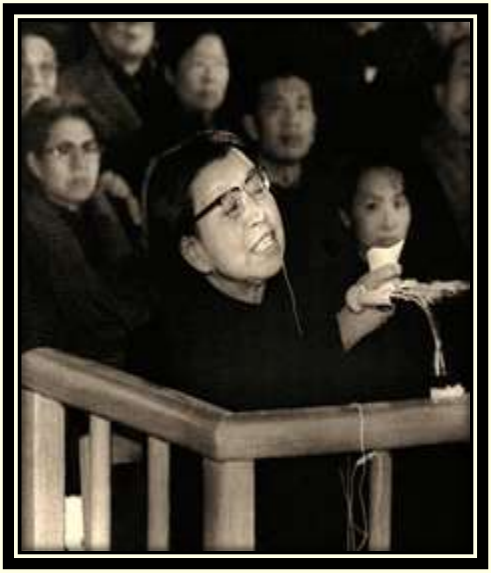

**1) أشهر محاكمة في القرن 20 :**

**"كل يوم مع صياح الديك كنت أخرج سيفي من غمده"**

في 29 دجنبر، فيما كان آخر ظهور لها في المحكمة، قبل صدور الحكم، صرخت جاينغ كينغ بشعارات الثورة الثقافية، و أحدثت مرة أخرى ثورة كبيرة في محاكمة التحريفيين، و حذر القاضي، الذي أخذ على حين غرة، بأنها تبتعد عن القضية و تشوه سمعة الحكام الصينيين و المحكمة، ثم أمر "خذوها بعيدا". لا يريدون السماع للمزيد من محاكمة النظام و إعلان حقيقته أمام الشعب الصيني و شعوب العالم. لقد ظنوا أنهم يحاكمونها، و الحال هي من كانت تحاكمهم.

و هي تقصفهم بحقيقتهم، فجأة أصبحت الصور التلفزيونية المعروفة لدى الجمهور خالية من أية صورة في هذه اللحظة (كانت محاكمة جيانغ ينقلها التلفزيون). و ما لم يظهر في الصورة، و ما لا يريد التحريفيون أن يصل للشعب الصيني، أنه تم جرها خارج المحكمة من طرف ثلاث ضباط قضائيين مسلحين مرتين على الأقل، منذ انفجارها في 12 دجنبر.

بدأت هذه الجلسة الأخيرة بقائمة من التهم الموجهة إلى جيانغ من قبل المدعي العام، الذي دعا بعد ذلك إلى عقوبة الإعدام بسبب **"جرائمها الصارخة"**. بعد إعداد السيناريو، تدخل القاضي موضحا أن **"الحقائق واضحة، و الأدلة قاطعة، ستتحمل المحكمة الخاصة المسؤولية الجنائية وفقا للقانون"**.

سخرت من القضاة و النيابة العامة واصفة إياهم ب **"جماعة مصاصي الدماء"** و **"النسور الوسخة"**، و واصفة التحريفيين ب **"المومياءات البورجوازية"**.

هكذا، تمثل محاكمة جيانغ كينغ، إحدى أشهر المحاكمات السياسية في القرن العشرين، فلمدة أربع سنوات تم سجن جيان كينغ و رفيقها شانغ شون شياو دون توجيه أي تهمة لهما، و قد حاول هوا كيو فينغ أن يجعل جيانغ كينغ تعترف بأخطائها المزعومة، لكن جيانغ الحذرة كانت ترد عليه باستمرار: **"أتحداك أن تفرج عني"**، و في سنة 1978 تم استبدال هوا كيو فينغ بقائد آخر في الحزب، هو في الحقيقة من يحرك الخيوط، إنه التحريفي حتى النخاع، دينغ كسياو بينغ، الذي كان هاجس الانتقام مسيطرا عليه بشكل تام، فهو من أجل الانتقام من جيانغ كينغ، التي ظلت تلك الثورية التي تقض مضجعه كلف هذا التحريفي بنغ شن، الرئيس السابق في لجنة بلدية بكين (و هي لجنة تمت الإطاحة بها خلال الثورة الثقافية) باستجواب جيانغ كينغ قبل محاكمتها سنة 1980، و كان ذلك من مكر التاريخ.

جاء في إحدى التعليقات لهذه الثورية العظيمة، أنها كانت حريصة على أن تكون في كامل اللياقة الصحية الممكنة أثناء سجنها للدفاع عن الثورة الثقافية قدر الإمكان، فالثوريون دائما معنوياتهم مرتفعة لأنهم على حق فيما يفعلون، هكذا بدت جيانغ على امتداد محاكمتها – المهزلة.

**"كل يوم مع صياح الديك كنت أخرج سيفي من غمده"**، كما قالت، في الإشارة إلى عبارة معروفة جدا لجنرال كان يقولها عندما كان يستعد للمعركة، و الحال أن معركة جيانغ مع التحريفيين ليست ككل المعارك.

كان أول تكتيك للتحريفيين، هو إسقاط الحكم الذي كان قد صدر ضد لين بياو، فقد تم منحه صفة يساري متطرف، مما مهد الطريق لإدانة المتهمين العشرة باعتبارهم جزءا من زمرة.

لقد التجأوا إلى الجنرالات اليمينيين القدامى، الذين تآمروا ضد ماو في أوائل سبعينات القرن العشرين، و ذلك من أجل جعل الخطوط السياسية أكثر تشويشا، و التي يجب فكها. و يبدو أن الدعوة إلى المحاكمة، التي تم تصويرها، قد استأنفت ثلاث مرات، لأن الاعتراضات غير المتوقعة لجيانغ كينغ جعلت الفيلم "غير مناسب" للبث التلفزيوني، و قد حرص التحريفيون أن يتابع كل الصينيين في كل أنحاء البلاد محاكمة جيانغ و رفاقها الثلاثة إمعانا في الانتقام و الشماتة.

كان لجيانغ من القدرات ما يجعلها محامية نفسها، فعندما سئلت عما إذا كانت تريد محاميا للدفاع عنها، لم تتردد في إدانة هذه المحاكمة، باعتبارها محاكمة زائفة : **"أريد خدمات محامي فقط إذا كان يعتمد على المؤتمرين التاسع و العاشر للحزب للدفاع عني!"**. و قد تم رفض الطلب، ثم أعلنت جيانغ كينغ أنها ستدافع عن نفسها.

و قد كتبت جيانغ وثيقة من 181 صفحة تدين فيها الاتهامات المشينة، التي أنزلها التحريفيون عليها، و مما جاء فيها قولها :

**"إذا كان، وفقا لكم أنه من المفترض أن يكون اليسار قد قام بسجن قادته لمدة طويلة بأدلة ملفقة، فإني أتساءل كثيرا عن ماذا تفعلون الآن أنتم انفسكم؟ ما الخطأ في أن الثورة الثقافية أطاحت بالمقر العام الرأسمالي ليوشا وشي و شركائه، و إعادة الحزب إلى طريق مهمته التاريخية؟"**.

لقد ذهبت إلى لب السؤال و صلبه عندما قالت : **"لن اعترف بأنني ارتكبت جرائم، ليس لأني أريد عزل نفسي عن الشعب، بل لأنني بريئة. إذا أردت الاعتراف بأي شيء، إذن فقد حصرت المعركة في صراع من أجل السلطة. أنتم الذين توجد في أيديكم السلطة اليوم، لذلك من السهل جدا اتهام أي شخص بارتكاب جرائم، و تلفيق أدلة زائفة في هذا الصدد. لكن إذا كنتم تعتقدون أنكم تستطيعون خداع الشعب الصيني أو شعوب العالم، فإنكم لا تخدعون إلا أنفسكم، لست أنا، بل زمرتكم الصغيرة هي من يخضع للمحاكمة، إنها محاكمة**

**سيكون التاريخ فيها هو القاضي الوحيد**". و قد كانت مرافعتها في إحدى أطوار المحاكمة، التي بدأت في 20 نونبر1980 و انتهت في يناير 1981 تسير بالتحديد في هذا الاتجاه. و على عكس وانغ هونغ ون، و ياو ون يوان، اللذين فضلا الصمت أثناء المحاكمة وعدم الدخول في المواجهة، فبالنسبة لشانغ شون شياو، فقد التزم صمتا مليئا بالتحدي (ما عدا عندما يرفض الاتهامات الموجهة إليه) رافضا الاعتراف بالمحكمة، التي ترأسها 35 قاضيا، و قاعة محكمة مليئة بجمهور مهيأ مسبقا للعب أدوار معينة، تمثلت في إطلاق الإهانات و كل أنواع السخرية اتجاه القادة الثوريين. أما من جهة جيانغ كينغ، فقد قابلت القضاة بازدراء و ثقة في النفس، و حولت الاتهامات، التي جرموها بها ضدهم بالإجابة "**إن معظم الحاضرين اليوم، بمن فيهم رئيسكم ليانغ هوا، قد تنافسوا على انتقاد ليو شاوشي، فإذا كنت أنا مذنبة فماذا عنهم؟**"، و أوضحت العلاقة بين أفعالها و الخط الثوري لماو، الشيء الذي أسكت قضاتها مرة أخرى، و الذين لم يتمكنوا من مناقضتها أو معارضتها، و اتجهوا إلى ترديد عبارة "إلزمي الصمت!"، فأجابت جيانغ "**بما أنكم لا تدعوني أتكلم، فلماذا لا تضعوا مكاني بوذا من الطين، الذي يمكنكم مقاضاته ... لقد كنت زوجة ماو لمدة 38 سنة، و قد اتبعت خط ماو و خط الحزب. إن ما تحاولون القيام به، هو جعل أرملة تدفع دين زوجها المتوفى، لذلك أقول لكم، إنني سعيدة، و يشرفني أن أدفع ديون الرئيس ماو!**". و في أجواء مشحونة، كررت عبارة مشهورة لماو التي تقول، إن الثوري الحقيقي لم يعد له ما يجيب به على السماء أكثر من القوانين.

لم تستطع السلطات أن تتحمل، و بينما كانوا يخرجونها من القاعة صاحت قائلة :

"**لنا الحق في الثورة! فليسقط التحريفيون من أمثال دينغ كسياو بينغ! أنا مستعدة للموت! اقصفوا المقر العام**".

لقد صدم التحريفيون بكل هذا، و ما كان عليهم إلا أن يراجعوا خطة عملهم و محتوى مقلبهم، لقد أفحمتهم المرأة، و وجدوا أنفسهم أمام خصم يحاكمهم و ليس هم من يحاكمونها.

لقد ألهمت أعمال جيانغ و أفعالها الشعب الصيني، و شعوب العالم أيضا، بل و حتى الرجعيين الصينيين أجبروا على الاعتراف بذلك. لقد عمت المظاهرات و أقيمت التجمعات، من سيريلانكا، حيث تعرضت السفارة الصينية لهجوم، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و من باريس إلى لندن، ففي فرنسا تم نشر إعلان في "جريدة لوموند الفرنسية" و قعه 2000 شخص، بهدف "إنقاذ جيانغ كينغ"، و تشكل تضامن في مؤتمر الأحزاب و المنظمات الماركسية – اللينينية و الحركة الشيوعية العالمية، الشيء الذي أطلق العنان لعملية تقارب أنصار فكر ماو تسي تونغ.

و قد ماطل نظام دينغ لمدة تجاوزت شهرين قبل الإعلان عن وفاة جيانغ و شانغ شون شياو. و كان التحريفيون يتساءلون عما يمكن أن يلحق بهما المزيد من الضرر، هل هو إعدام هذين الثوريين، أو السماح لأكثر السجناء شهرة على وجه الأرض بمواصلة العيش، و الحال أن الحل الأول هو ما كان في مصلحتهم، و قد سمح لهما بسنتين ل"الاعتراف بأخطائهما"، و يوم سمعت جيانغ كينغ كلمة "موت" صرخت "**إنها ليست جريمة صنع الثورة!**".

لقد أقدم التحريفيون على كل الممارسات الحقدية، من أجل تمريغ أنف جيانغ في التراب، و إلحاق كل أشكال الإهانة بها، فقد تم حبسها في سجن كوين شنغ، و قضت عددا كبيرا من السنوات في الحبس الانفرادي، و عندما

رفضت التعاون مع السلطات، حرمت من الطعام و ممارسة الرياضة، و كانت تتعرض للضرب من طرف الحراس. و خلال معظم ذلك الوقت، سمح لها بالتحدث فقط عندما يطرح عليها السؤال، و كان الشخص الوحيد، الذي سمح له بالتحدث إليها هو ابنتها لي نا. و قد كانت السلطات تفرض على السجناء السياسيين كتابة نقد ذاتي شهري، غير أن جيانغ كينغ رفضت الانقياد إلى تعاليم الحكام الجدد و رفضت كتابة ما يريده التحريفيون نقدا ذاتيا، لكن الخط الثوري الذي سارت عليه كان نهجا صحيحا بالنسبة لها، و ظلت متشبثة بهذه القناعة إلى آخر رمق في حياتها. و كما ورد في مقال في النيويورك تايمز لسنة 1983، فإن جيانغ تحدت سجانيها بكتابة الشعارات على جدران زنزانتها داعية ل "قطع رأسها"، و هي بذلك تريد إحراج التحريفيين أمام شعوب العالم. و قد حدث أن طلبت لقاءا مع دينغ كسياو بينغ، رأس الأفعى، إلا أنه رفض، لأنه على ما يبدو غير قادر على رفع التحدي في مواجهتها، لأنه يعرف أنه متورط حتى النخاع في خيانة الثورة البروليتارية الصينية.

استنفرت جيانغ كينغ كل طاقتها من أجل الاستمرار في فضح التحريفيين، فقد كتبت داخل السجن عدة مقالات تدين فيها التحريفيين لتسليط المزيد من الأضواء على حقيقتهم، و قد طلبت المشاركة في مؤتمر الحزب الثاني عشر، الذي كان من المقرر عقده في صيف 1982 حتى تتمكن من عرض آرائها السياسية، لكن أنى لها ذلك، فلن يسمح الخط اليميني أن يحاكمه الخط الثوري لأنهم يعرفون أنها ستفحمهم وأن لها صولات في ذلك، و في ذلك قامت جيانغ بتفعيل الشعار الماركسي- اللينيني لماو تسي تونغ القائل : **"علينا السباحة ضد التيار"** و هو المبدأ، الذي يجب أن يتحلى به كل ثوري ماركسي- لينيني داخل الحزب من أجل الدفاع عن مواقفه.

في السنة الموالية تم تخفيف عقوبة الإعدام إلى السجن مدى الحياة، فقد أبقوها على قيد الحياة، لكن في حقيقة الأمر فهم يهيئون لاغتيالها داخل السجن، و هو إعدام تم تحت جنح الظلام، فبقاء جيانغ حية، حتى وإن كان السجن مدى الحياة هو أمر مزعج للتحريفيين، ويجب قطع دابر هذا الخط الثوري، الكابوس الذي يجب التخلص منه.

ظل الشعب الصيني مساندا لجيانغ في محنتها رغم كل الآلة الجهنمية الدعائية التي وظفها الانقلابيون ضدها، من أجل تشويه سمعتها و تسويد صفحاتها البيضاء في القتال من أجل الدفاع عن الخط الثوري، خط ماو، إذ يقال أن هناك منشورات كانت تتداول في بكين، و شانتونغ مسقط رأسها تدعم الثورة الثقافية و تدين السلطة الموالية للرأسماليين، كما يحكى أنها منشورات كتبت بخط يدها، تم تهريبها من السجن سنة 1980، و في نهاية هذه السنة طبعت رسالة في الصين، و أرسلت سرا إلى الماركسيين – اللينينيين خارج البلاد، أشادت فيها جيانغ بالموقف المدافع بشجاعة عنها وعن شانغ شون شياو، و شرحت بعض الصعوبات في الخط السياسي، الذي حال دون قيام الثوار بالعمل بسرعة لاستعادة السلطة بالقوة بعد انقلاب 1976، إنها مناشدة من طرفها للشعب للحكم على السنوات الأربع تحت دكتاتورية البورجوازية، و في وقت لاحق أكدت مصادر يابانية، أن هذه الرسالة تعممت عبر العديد من المنشورات في جميع أنحاء الصين، و أنه كانت هناك حتى دعاية تحريضية مفتوحة في الشوارع (و هذه مؤشرات تدفع التحريفيين إلى التسريع بالتخلص من جيانغ عن طريق الاغتيال).

كان ماو يدرك تمام الإدراك أن رفيقته جيانغ ستكون محط انتقام من طرف الانقلابيين، و هو انتقام موجه إليه في المقام الأول، ما دام ذنب جيانغ ليس إلا أنها اتبعت خط ماو، الخط البروليتاري، إنهم ينتظرون بكل شغف اختفاء ماو عن مسرح الحياة لكي يعملوا بكل راحة.

قبل وفاته في 9 شتنبر 1976، قام ماو بمهمتين، الأولى، أنه ذهب إلى المكتب السياسي، و الثانية، كتب رسالة إلى جيانغ في شهر يوليوز. و في اجتماع المكتب السياسي، ألقى اللوم على اليمين، الذي كان يتمنى موته القريب لمواصلة تنفيذ مؤامراته، و بنفس النبرة ذكر أن الاتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة الأمريكية كانوا أعداء. و بالنسبة لرسالته إلى جيانغ، فتعبر عن حالة من التحدي في ما يأتي، رسالة لا تخلو من النقد الذاتي الحاد، و يحث جيانغ على القتال من أجل استعادة السلطة المغتصبة.

**"لقد خدعت، منذ اليوم سننفصل، كل منا سيكون في عالم مختلف، و يبقى كل واحد منا في سلام. من المحتمل أن تكون هذه الكلمات القليلة آخر رسالة سأخبرك بها. الحياة البشرية محدودة، لكن الكفاح الثوري لا حدود له. خلال كفاحي في هذا العقد الماضي، حاولت الوصول إلى قمة الثورة، دون أن أستطيع الوصول إليها للأسف، و الأمر متروك لك لتسلقها إلى أعلى مستوياتها، إذا فشلت فستغرقين في هوة لا قرار لها، سيتم سحق جسمك، و سيتم كسر عظامك"**. لقد كان استشراف ماو في محله، لأنه يعرف ما يستطيعه التحريفيون، لقد سحق حقا جسم المرأة و تم كسر عظامها، عندما اغتالوها، و لا أحد يدري كيف كانت طريقة الاغتيال.

هذه الكلمات الأخيرة من ماو كانت في الواقع موجهة ضد التحريفيين، الذين احتفظوا بالسلطة، و الذين سعوا إلى خلق انشقاق بين ماو و زوجته، و كان هذا هو السياق، الذي أطلق ماو فيه النداء التالي :

**"ساعدوا جيانغ كينغ على التلويح بالعلم الأحمر"**.

و إذا كان ماو قد حث في نهاية حياته الثوار على مساعدة جيانغ على التلويح بالعلم الأحمر، فذلك لأنه كان يعلم أنها الوحيدة، من المستويات العليا في الحزب الشيوعي الصيني القادرة على القيام بذلك.

إنها رسالة تطوق عنق جيانغ، و ما عليها إلا أن تكون في مستوى هذه المهمة الجسيمة، و قد كانت حقا وفية لما جاء في الرسالة، و محاكمتها كانت خير دليل، فقد دافعت باستماتة عن خط ماو، و هي بين القضبان و أفحمت جلاديها من التحريفيين، حتى أنهم كانوا في عجلة من أمرهم للتخلص من كابوس يقض المنام اسمه جيانغ كينغ.

و إذا كان ماو قد دعم جيانغ، فإن هذه الأخيرة قد دعمت ماو خلال كل هذه السنوات التي كانت فيها رفيقته و زوجته، و التي تربو عن 38 سنة، عندما قاتلا سويا لصنع الثورة، لكن هل كان هذا الاتحاد في النضال مفروشا بالورود، بكل تأكيد فالجواب بالنفي، ففي سيرورة هذا النضال كان لابد من حل بعض الخلافات بين الرفيقين الشيوعيين البروليتاريين.

إذا كان لجيانغ أي ذنب ارتكبته، فتساقطت عليها الاتهامات كالمطر، فذنبها الأول و الأخير، أنها امرأة تجرأت على الكفاح من أجل بلوغ مرتبة في السلطة داخل الثورة، فحسب من ما زالت المبادئ الكونفوشيوسية تسري في دمائهم، على جيانغ أن تكون في هامش السلطة لا في معمعانها، والأحرى أن تكون قائدة فيها.

و قد حرص الأعداء السياسيون لجيانغ كينغ على إبراز المرأة أمام الشعب و أمام العالم، أنها هي فقط امرأة و زوجة رئيس تبحث عن إثبات الذات و إبراز شخصها، فحرصوا كل الحرص أن تظل خارج دائرة الشأن العام، لكن المرأة ما انفكت تبرهن عن ثوريتها و شيوعيتها منذ أن حلت بيانان، و قد وجدت كل الدعم و المساندة

من طرف ماو، منذ أن تعرف عليها لأول مرة، إلى آخر رمق في حياته، فالخط الصحيح الذي سارت عليه لم تخطئه عين ماو، لذلك عندما قادت الثورة الثقافية الصينية، فقد أهلها لذلك ثوريتها التي أبانت عنها لأكثر من38 سنة، و لم تبدل تبديلا.

لم يكن غائبا عن ذهن ماو أن رفيقته في النضال و الثورة ستجد الطريق سالكة، فقد كان متأكدا أنه ستلاحقها الهجمات الشخصية، و لم يكن غائبا عن ذهن جيانغ أنه سيكون عليها خوض معارك نارية و نضالا شرسا ضد كل أشكال الاضطهاد، لقد ناضلت ضد الاضطهاد الإقطاعي، و ضد التقاليد البالية، و ضد الاضطهاد الجنسي، الذي يحدد للمرأة المكان الذي يجب أن تشغله داخل المجتمع.

لقد تعامل التحريفيون مع جيانغ كينغ بالمنطق الكونفوشيوسي حول المرأة و الأسرة، و بما أن الكونفوشيوسية تؤمن بمبدأ تحمل المرأة لكل أخطاء زوجها، فعلى جيانغ كينغ أن تتحمل كل أخطاء زوجها ماو.

بكل تأكيد، فقد أثرت الشائعات البغيضة و الهجمات الحقيرة الصادرة من أعداء ماو على حياتها الشخصية، لكن لم يكن لها تأثير على حياتها العامة، فقد كانت جيانغ تعرف كيف تفصل بين الاثنين، و هي التي تعرف كيف أن هزيمتها هي انتصار للأعداء، لكن الشيوعية حتى النخاع التي كانتها فوتت عليهم هذا الانتشاء بالنصر، كانت جيانغ تحارب على جميع الجبهات و تصارع في كل مكان، ففي حياتها السياسية، دأبت جيانغ دائما على حث النساء على التمرد ضد القمع الجنسي، و قاتلت في مجال الفن، كي لا يبقى تحت هيمنة الذكور، وكم سطرت من الملاحم في هذا الشأن قبل الثورة الثقافية و في معمعانها. ففي المسرحيات التي كانت تنتجها، كانت نساؤها البطلات هن أولئك النساء اللواتي كما تقول **"خلصن أنفسهن من النير الخانق للماضي ليتولين دورا ثوريا"**، و في السناريوهات التي كان تكتبها كانت تحرص على أن تكون البطلات نساء ثوريات، و ذلك في محاولة لتخليص الفن من طابعه الباتريارکي، و كان هذا واحدا من أهداف الثورة الثقافية، التي كانت رائدتها. و لجيانغ أيضا معارك مشت بذكرها الركبان فيما يتعلق بالقيادة داخل الحزب، فرغم ان الحزب الشيوعي الصيني كان يجسد التحرر الشامل، فمع ذلك لم ينج من تأثيرات مجتمع شبه إقطاعي، شبه استعماري، و بالتالي كان الحزب صورة مصغرة عن المجتمع الصيني، فبحكم أنه منبثق من اضطهاد قديم، فلا زال هناك الكثير يستوجب محاربته من أفكار متخلفة فيما يخص النساء، و قد كانت جيانغ كينغ من قاد هذه المعركة بكل الصلابة الممكنة و الصراع الذي كان بلا هوادة.

كان لزاما على الحزب و هو الذي يتبنى المبادئ الشيوعية، أن يحارب العادات القديمة، و طرق التفكير التي كانت سائدة، و كان لزاما عليه أيضا أن يجند النساء لشن حرب التحرير ضد كل ما هو عتيق. وبعد التحرير قام الحزب بعمل كثير من أجل كسر الحواجز التي تواجه النساء، و تمكينهن من المشاركة في الإنتاج على قدم المساواة مع الرجال، كما تم تشجيعهن على الانضمام للحزب.

كما خاض الحزب صراعا إيديولوجيا من أجل تمكين النساء من التحرر، لكن لإحداث التحويل المنشود في التباينات بين الرجال و النساء بشكل عميق، فلا يمكن الزيادة في سرعة ذلك، إلا في سيرورة البناء الاشتراكي، ولن يتحقق ذلك إلا بانخراط النساء في صراع حقيقي يقضي على النظام القديم، و بإحداث ثورة في إيديولوجية الشعب، و لن يسمح ذلك إلا بالسلطة في أيدي البروليتاريا، و هذا ما ناضلت من أجله جيانغ كينغ، نضال من أجل التحرر حتى أخر نفس، فكانت هذه القائدة الشيوعية الثورية مصدر إلهام لنساء الصين، و ذلك لانتزاع "نصف السماء" كما يقول ماو تسي تونغ.

**2 - موت جيانغ كينغ : اغتيال عن سابق إصرار و ترصد**

سيظل موت جيانغ كينغ مشبوها طالما لم يثبت العكس، فكل المؤشرات تدل على أن أيدي التحريفيين ملطخة بالدماء، و أنهم متورطون حتى النخاع في جريمة الاغتيال، التي حولوها ادعاء و بهتانا إلى قضية انتحار، إنه الخداع الذي يتقنه التحريفيون بكل براعة، فليست جيانغ كينغ، البروليتارية الثورية، المؤمنة بالحياة، التي واجهت العواصف، التي كانت تحيط بها من كل صوب، بكل شجاعة الشيوعيات الثوريات، من يقدم على الانتحار، فالانتحار لغة الجبناء، و ليس لغة الشيوعيين، و كانت جيانغ كينغ تلك المرأة القوية، التي لا تهزها أية ريح مهما كانت عاصفة، و لا تهاب خوض المعارك الكبرى، و كانت في سجنها لا يلهج لسانها إلا بضرورة الاستيلاء على السلطة، و بالتالي كان عندها أمل أن تعيش هذا الحدث، فكيف لها أن تنتحر كما يزعم جلادوها.

كان الانقلابيون في عجلة من أمرهم للتخلص من هذا الكابوس الذي يدعى جيانغ كينغ، فقد أدانت المجازر في تينانمن، و قالت أن النظام لا يمكن أن يعيش طويلا، فهي مصرة على إجهاض مخططات التحريفيين، فكان لزاما عليهم أن "يتغذوا بها قبل أن تتعشى بهم"، و أن يسرعوا القتل قبل أن تحشد المزيد من التعاطف من الشعب الصيني و شعوب العالم، هي التي ما فتئت تحظى بالحب وسط الشعب الصيني و شعوب العالم.

لم يصدق الشعب الصيني فرضية الانتحار، و هو أمر كان محط شك أيضا من طرف علماء الحضارة الصينية، فالمرأة كما تحكي ابنتها التي زارتها آخر مرة، كانت بصحة جيدة و تتمتع بمعنويات مرتفعة، كما يكون دائما الشيوعيون الثوريون، و كيف يمكن لمن كان مقبلا على كتابة سيرته الذاتية أن يوقف مشروعه فجأة ؟ و من جهة أخرى هل كان غائبا عن السجان ما يدور في الزنزانة، و هي التي تتعقبها الكاميرات ليل نهار؟

لقد ظن الانقلابيون أنه بتصفية جيانغ كينغ، سيصبحون مطمئنين إلى حسن المآل، و أنهم أقنعوا الصينين و العالم بصحة رواية الانتحار، وأن ما سيقدر عليه الشعب الصيني أنه سيبكي قائدته البروليتارية و يرثيها و ستهدأ الأمور، غير أنه حدث ما لم يكن يتوقعه القادة الجدد للنظام، حيث ستخلق وفاتها مشكلا عويصا لهم، فقد امتلأت بكين بملصقات الاحتجاج، و شعارات تقول

**"عاش الخط الثوري لماو تسي تونغ! الموت للحزب الشيوعي المزيف لدينغ كسياو بينغ!"**

بل علقت صور بزي عسكري لجيانغ كينغ، كتب فيها **"الرئيس ماو تسي تونغ لن ننساك أبدا!"**، كل هذا من شأنه أن يربك القادة التحريفيين، و حتى لا تخرج الأمور عن سيطرتهم، و ينقلب كل شي ضدهم، حظر دينغ كسياو بينغ بيع أي كتب و مستندات حول جيانغ كينغ، بل حتى صورها القديمة تم حظرها، كما لم يعد مسموحا عرض الأوبرا و البالي الثوري على أجهزة التلفزيون و الراديو، فكل ما من شأنه أن يذكر بجيانغ كينغ تم منع تداوله، لقد نهجوا سياسة المحو للمرأة، كأن لسان حالهم يقول الاشتراكية كانت قوسا فتحناه، و نحن اليوم نغلقه بتصفية أهم ما يذكر به، جيانغ كينغ، كان هذا أملا في إسقاطها من ذاكرة الصينيين و كل شيوعي للعالم، لكن شبح جيانغ كينغ سيظل يطاردهم.

لقد دفعت جيانغ كينغ بالثورة إلى أعلى قمة عرفتها البروليتاريا العالمية، لقد أرادت أن تسير بالثورة حتى النهاية، و كانت واعية بالعقبات التي ستعترضها، و كانت تعرف مدى شراسة خصومها و حقدهم عليها، و أن جريمتها الوحيدة هي انها رافقت ماو على درب الثورة و كانت عضده، الذي لا يلين، لكن كان عليها أن تستمر في صناعة التاريخ الصيني جنبا إلى جنب مع الجماهير البروليتارية الصينية، فقد آمنت بصحة الثورة الثقافية البروليتارية

و التجربة الصينية الاشتراكية ككل، لذلك لم تبدل تبديلا، لقد انبرت للدفاع عن العلم الأحمر، و صممت على رفعه فوق الوحل، وحل التحريفية.

لقد كتبت جيانغ كينغ فصلا رائعا من تاريخها، و استطاعت أن تلهم بفضل حزمها وإصرارها ملايين الأشخاص عبر العالم، لقد كانت صرامتها الإيديولوجية مثار إعجاب، لم يستثن حتى التحريفيين أنفسهم.

لقد فضحت الطبيعة الحقيقية للتحريفيين أمام الشعب الصيني و شعوب العالم، و استهزأت بسجانيها، و لم تسع إلى تبييض اسمها، فهو أبيض لامع عند الشعب الصيني.

**خلاصة** :

"**لقد نجحت فيما قمت به!**" هكذا صاحت جيانغ كينغ و كلها ثقة بنفسها بعد محاكمتها، تلك المحاكمة، التي ظلت وصمة عار تاريخية على جبين التحريفية، لقد حاولوا تدمير بطولتها الثورية، و لم يجدوا من صفة يلصقونها بها سوى اتهامها بالتطلع إلى أن تصبح امبراطورة.

كانت حياة جيانغ تعكس التزامها الثابت بالبروليتاريا و ثقتها في الجماهير و انتصار القضية الشيوعية، لقد ظلت تلوح بالراية الحمراء، ولم تتعب من التلويح بها إلى آخر نفس، و إذا كان لابد من وضع عنوان لمسار امرأة ثورية بروليتارية فذة، فإنه يمكن القول : **جيانغ كينغ، الشيوعية الثورية البروليتارية، قضية عادلة أمام محكمة التاريخ**.

**جميلة صابر (7 - 6 - 2019)**